# أثر الإيقاع القرآني

## لرواية ورش عن نافع في إيضاح المعنى

## (سورة نوح أنموذجا)

## إعـداد

**دكتور/ أحمد جودة عبد الستار محمد**

**مدرس الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنوفية**

**جامعة الأزهر -مصر**

**١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٤م**

ض

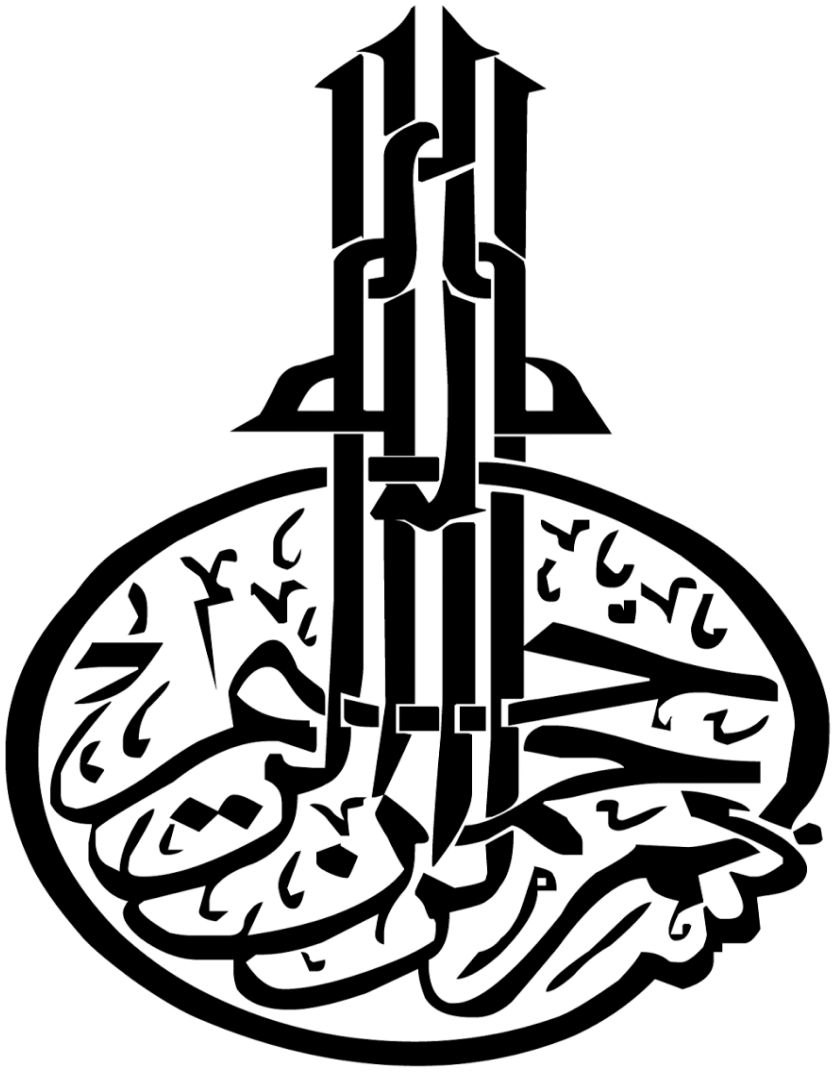

# أثر الإيقاع القرآني لرواية ورش عن نافع في إيضاح المعنى (سورة نوح أنموذجا)

**أحمد جودة عبد الستار محمد**
**قسم الأدب والنقد -كلية اللغة العربية بالمنوفية -جامعة الأزهر -مصر**
**البريد الإلكتروني:**
abdostore20200@gmail.com

**الملخص:**

كتاب الله هو المعين الذي لا ينضب، والشمس التي لا تغرب، لم يزل إعجازه يتجدد علىٰ مدىٰ العصور ليغمر قلوب المؤمنين بالهدىٰ والنور، ومن أوجه إعجازه إعجاز إيقاع أنغامه الماثل في ترتيله بآدابه وأحكامه، فما من قارئ يخشع في تلاوته ويقيم حروفه من دون زيادة أو نقصان إلا أبان عن إيقاع فريد لا تمله الآذان، يتدفق إلىٰ القلب فيزيده أقباسا من نور الإيمان. ومن إيقاعات رواياته المعجزة، رواية (ورش) لما فيها من تفرد في الأحكام نتج عنه تفرد في الإيقاع فيزداد بطئا حينا ويزداد سرعة حينا آخر، كما يرق حينا ويشتد حينا آخر، وهو في كلٍّ موافق للمعنىٰ معين علىٰ فهم القرآن وتفقه آياته، وكان ذلك بارزا واضحا في سورة نوح؛ فالسورة تنتظم قصة تحكي مناجاة (نوح) لربه، وشكايته وتألمه من جحود قومه، وقد عضد الإيقاع الورشي المعنىٰ القرآني في إظهار المفارقة الكائنة بين (نوح) وقومه، فقد كان رفيقا بهم أشد الرفق يبذل كل طاقته في إدخالهم رحمة ربه ومغفرته، وهم غلاظ جفاة يبذلون كل طاقاتهم في الإعراض عنه وتكذيبه وإيذائه أشد الإيذاء، فأغرقوا أنفسهم في خطيئاتهم، فاستحقوا عذاب ربهم غرقا في الدنيا، وإحراقا في الآخرة بالنار، وكان دعاء نبيهم عليهم رحمة بأهل الإيمان أن يفتنوا بهم، وإحسانا لذرياتهم أن يرثوا كفرهم واستكبارهم.

**الكلمات المفتاحية:** الإيقاع، ورش، نافع، الشاطبية، القصة القرآنية، قصة نوح، سورة نوح.

# The effect of the Qur'anic rhythm of the narration of Warsh on the authority of Nafi 'in clarifying the meaning (Surat Noah as a model).

Ahmed Gouda Abd El sattar Mohammad.
Department of Literature and Criticism - Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University – Egypt
Email :abdostore20200@gmail.com

**Abstract:**

The book of God is the inexhaustible helper ,and the sun that does not set ,its miracle is still renewed over the ages to immerse the hearts of believers with guidance and light ,and one of its miracles is the miracle of the rhythm of its melodies present in its recitation with its etiquette and provisions ,so no reader is ashamed in its recitation and evaluates its letters without increase or decrease ,but it shows a unique rhythm that is not dictated by the ears ,flowing into the heart and increasing it with the light of faith .One of the rhythms of his miraculous novels ,the novel) Warsh (because of the uniqueness of the provisions resulted in a uniqueness in the rhythm increases slower sometimes and increases faster at other times ,as it rises sometimes and intensifies at other times ,which is in every agreement with the meaning of a certain understanding of the Qur'an and the understanding of its verses ,and this was prominent and clear in Surat Noah ;Companion with them the most gentle exerts all his energy in introducing them the mercy and forgiveness of his Lord ,and they are heavy dry exerting all their energies in refraining from him and denying him and hurting him the most severely ,so they drowned themselves in their sins ,so they deserved the

torment of their Lord drowning in the world ,and burning in the hereafter with fire ,and the prayer of their Prophet on them was a mercy to the people of faith to fascinate them ,and charity to their descendants to inherit their infidelity and arrogance.

**Keywords :**rhythm ,workshop ,Nafi ,'Shatibiya , Quranic story ,Noah's story ,Noah's story.

**مقدمة**

إن القرآن الكريم كلام الله المعجز المنزل علىٰ سيدنا رسول الله (محمد) -صلىٰ الله عليه وسلم-، جعله الله تعالىٰ معجزة خالدة إلىٰ يوم الدين، وانماز من إيقاعه الإعجازي الخلاب الذي يأسر القلوب والألباب، فيستشعر ذلك كل من تدبره وتذوق إيقاعات كلماته ونغمات آياته، ولا يقتصر ذلك علىٰ العربي فقط، بل يتعداه إلىٰ الأعجمي الذي لا يفهم كلمة واحدة من العربية.

وإيقاع القرآن وحي من الله -جل جلاله-، أنزله بكيفية مخصوصة، وعلمها نبيه (محمدا) -صلىٰ الله عليه وسلم- عن طريق أمين الوحي جبريل -عليه السلام-، ثم علمها النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- أصحابه الكرام، فقد روىٰ الطبراني في المعجم الكبير أن "ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُقْرِئُ رَجُلاً، فَقَرَأَ: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ..." مُرْسَلَةً، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا هَكَذَا أَقْرَأَنِيهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ : وَكَيْفَ أَقْرَأَكَهَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ : أَقْرَأَنِيهَا: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ..."، فَمَدَّهَا."[1]

وكما أن القرآن معجز في بلاغته ونبوءاته وغير ذلك من أوجه الإعجاز الأخرىٰ، فإنه معجز أيضا في إيقاعه النغمي التوقيفي، وكما نزلت القراءات القرآنية تخفيفا للأمة، فإنها كذلك حاملة إيقاعات متنوعة -وإن كانت متقاربة-؛ لتؤكد علىٰ سعة الإعجاز في القرآن الكريم، روىٰ مسلم في صحيحه، عن أُبَيِّ بْنَ كَعْبٍ -رضي الله عنه- "أَنَّ النبيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عليه وَسَلَّمَ- كانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قالَ: فأتَاهُ جِبْرِيلُ -عليه السَّلَامُ-، فَقالَ: إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَىٰ حَرْفٍ، فَقالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقالَ: إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَىٰ حَرْفَيْنِ، فَقالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ،

---

[1] المعجم الكبير، الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، جـ٩، صـ١٤٨.

ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقالَ: إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَىٰ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطِيقُ ذلكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقالَ: إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القُرْآنَ علَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فأيُّما حَرْفٍ قَرَؤُوا عليه فقَدْ أَصَابُوا."[1].

**أسباب اختيار الموضوع:**

ومن الإيقاعات المعجزة للقرآن الكريم إيقاع رواية (ورش)، فرواية (ورش) لها إيقاعها النغمي المتفرد عن باقي الروايات، إذ يجد القارئ لها والمستمع إليها تسارعا للإيقاع في مواطن، وتباطؤا في مواطن أخرىٰ، كما يجدان فيها رقة في الإيقاع تارة وشدة فيه تارة أخرىٰ، وقد لمست ذلك حينما كنت أستمع إلىٰ مولانا الشيخ (محمود خليل الحصري) -رحمه الله تعالىٰ- وقد كان يرتل سورة (نوح) برواية (ورش عن نافع) عبر أثير إذاعة القرآن الكريم، فشعرت بالنغم يتدفق إلىٰ قلبي يطربه ويرويه بمعانٍ لم يكن يعرفها من قبل، فقرأت، وتأملت، وتدبرت؛ فانسابت إليّ المعاني كالسيل الجارف، فأحببت أن أدرس تلك المعاني التي خطرت لي، وأسعىٰ إلىٰ التأكيد علىٰ الإعجاز الإيقاعي للقرآن الكريم، الذي وسع كل القراءات المتواترة[2].

**الدراسات السابقة**

ومن الدراسات ذات الأهمية التي عنيت بدراسة الإيقاع النغمي للقرآن الكريم وأفدت منها دراسة الأخ الفاضل (محمد شملول) المعنونة بـ(إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة)؛ إذ تناول في القسم الثاني منها ما أسماه: (إعجاز ترتيل القرآن لبيان

---

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم، ت: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، (٨٢١)، صـ٣٦٧.

(٢) قال (ابن الجزري): كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها. [منجد المقربين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ت: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة المقدسي، القاهرة، ط ١٣٥٠هـ، صـ].١٥

المعاني والأحكام)، تحدث فيه عن أثر الأحكام التجويدية كـ(المد والقصر، والنون الساكنة والتنوين، والتفخيم والترقيق، والإشمام، والسكت...إلخ) في إيضاح المعنىٰ والأحكام الشرعية، وقصر الدراسة علىٰ رواية (حفص)، وساق أمثلة كثيرة من القرآن، منها سورتا: (الفلق، والناس)، ثم جاء بنموذج تطبيقي لسورة (الكهف) مكتفيا بالإشارات العابرة من دون تعمق في المعاني، أو ربط الآيات بعضها ببعض، ولكن يحسب له أنه أول من طرق هذا الباب، وحسبه قوله: " وفي هذه الدراسة الموجزة يتبين لنا أن قراءة القرآن الكريم وتلاوته طبقا لما أنزل الله وحسب أحكام التلاوة تظهر لنا المعاني الحقيقية للنص القرآني بآفاقها الواسعة.. بل إننا يمكن لنا أن نستنتج منها أحكاما في قضايا معينة... إن هذا الموضوع يجب أن يهتم به أهل الفكر الإسلامي في كل بقاع الدنيا؛ لأنه يحتاج إلىٰ دراسات وأبحاث مستفيضة. إنه وجه عظيم من أوجه معجزات القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.. لا يمكن لفرد أو لأفراد أن يحيطوا بعلمه.. ولكن يجب عليهم المحاولة والتدبر والتفقه.."[(١)].

**منهجي في الدراسة:**

ونظرا لأن رواية (ورش) لها أكثر من طريق[(٢)]، فقد اعتمدت في هذه الدراسة طريق (الشاطبية)، بوجه توسط البدل مع التقليل (أي: إمالة الألفات التي أصلها ياء، أو المكتوبة علىٰ هيئة ياء إمالة صغرىٰ)، وهو الوجه الأشهر في الرواية، وبه قرأ كثير

---

(١) إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، تقديم: أ.د/ علي جمعة، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، صـ١٩٩، ٢٠٠.

(٢)اختار (ابن الجزري) طريقين رئيسين لرواية (ورش)، هما طريقي: ( الأزرق، والأصبهاني)، ولكل طريق منهما طريقان، فعن طريق (الأزرق) طريقان، وكذلك عن طريق (الأصبهاني)، ثم تشعبت الطرق من هذه الأربعة؛ فروي عن طريقي (الأزرق) خمسة وثلاثين طريقا منهم طريق (الشاطبية)، وعن طريقي (الأصبهاني) ستة وعشرين طريقا، فهذه إحدىٰ وستون طريقا. [الثمر اليانع في رواية ورش عن نافع، د. توفيق إبراهيم ضمرة، دار الماهر بالقرآن، القاهرة، ط٢، ١٥٣٦ هـ/ ٢٠١٥م، صـ٣٢٨

من أعلام القراء، كالشيخين (محمود خليل الحصري، وعبد الباسط عبد الصمد) – رحمهما الله تعالىٰ–، وقد ركزت الدراسة علىٰ الإيقاعات التي انمازت منها الرواية عن باقي الروايات أو بعضها، مراعية الوقوف علىٰ الجوانب الفنية لبناء القصة في النص القرآني، ومعتمدة العد المدني الأول[1] لآيات القرآن، وهو العد المعتبر في رواية (ورش)، كما اعتمدت في تحليل الأداء الصوتي الوقوف علىٰ رءوس الآيات؛ لأنه سنة النبي (محمد) –صلىٰ الله عليه وسلم–، لذلك لم تلتفت إلىٰ الإيقاع الناشئ من وصل الآيات ببعضها، إلا الآيات التي ترتبط ببعضها في إيضاح المعنىٰ، أو التي ينشأ من وصلها إيقاع منفرد لرواية (ورش) يخالف به الإيقاع الناشئ من باقي الروايات، كذلك اعتمدت الدراسة مصحف ورش في كتابة الآيات القرأنية إلا ما جاء محل استشهاد برواية أخرىٰ.

أما عن تقسيم الدراسة فلم أقسم الدراسة علىٰ حسب الظواهر الإيقاعية، بل انطلقت في السورة آية آية أكشف عما فيها من ظواهر إيقاعية؛ لأن الغاية التي تتغياها الدراسة هي الوقوف علىٰ معاني الآيات، ثم استظهار أثر الإيقاع في إيضاحها، ولأن السورة كاملة تقتصر علىٰ أحداث قصة؛ فقد راعيت في تقسيم البحث التقسيم الفني للقصة؛ فصولا ومشاهدَ بصرف النظر عن طول أي فصل أو مشهد قياسا علىٰ أمثالهما؛ لأن ذلك أقوم في استنباط التوافق بين المعنىٰ والإيقاع.

---

(١) العدّ في القرآن سبع: العدّ المدني الأول، والعد المدني الأخير، والعد المكي، والعد البصري، والعد الكوفي، والعد الحمصي، والعد الدمشقي، وتعتمد رواية (ورش) العد المدني الأول، وهو ما يرويه نافع، عن شيخيه أبي جعفر، وشيبة بن نصاح؛ ويرويه الكوفيون عنهم، دون تعيين أحد منهم بعينه، ويرويه أهل البصرة عن ورش عن نافع عن شيخيه. [ينظر مقدمة تحقيق كتاب البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني الأندلسي، ت: د. غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، صـ(جـ)].

**خطة البحث**

**وبناء على ما سبق كانت خطة البحث على هذا النحو:**

**أولا: المقدمة**، وقد اشتملت علىٰ أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والدراسات السابقة له، ومنهجي في دراسته، وخطة دراسته.

**ثانيا: التمهيد**، وبينت فيه المواضع التي اختلفت فيها رواية (ورش) عن غيرها من الروايات، متقصرا علىٰ ما جاء في سورة (نوح) من اختلافات، وقدمت نبذة مختصرة عن السورة، ثم ذكرت مواضع ذكر قصة (نوح) في القرآن الكريم، وبناء علىٰ تلك المواضع رتبت أحداث القصة ترتيبا زمانيا.

**ثالثا: فصول الدراسة، وقد انقسمت إلى ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول: إرسال الله سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلى قومه.**

**الفصل الثاني: تبليغ سيدنا (نوح) -عليه السلام- رسالة ربه إلى قومه.**

**الفصل الثالث: مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام- ربه. ويشتمل على خمسة مشاهد:**

*المشهد الأول*: شكوىٰ سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلىٰ ربه إرهاقه في الدعوة.

*المشهد الثاني*: الاستدلالات الحجاجية علىٰ قدرة الله ورحمته.

*المشهد الثالث*: شكوىٰ سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلىٰ ربه ضلال قومه وإضلالهم.

*المشهد الرابع*: استحقاق الكافرين عقاب الله في الدنيا والآخرة.

*المشهد الخامس*: دعاء سيدنا (نوح) -عليه السلام- علىٰ قومه، وللمؤمنين.

**رابعا: خاتمة البحث، وفيها أهم نتائجه.**

- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

## التمهيد

**(١)- إيقاع رواية ورش**

عادة ما ترتبط دراسة الإيقاع بالشعر، وهذا لا ينفي وجود الإيقاع في النثر، فقد ذهب أكثر النقاد إلىٰ أن للنثر إيقاعا أيضا كما للشعر، وإذا تأملنا القرآن الكريم نجد له إيقاعا نغميا فريدا، ليس له نظير، وهو ما يشكله علم التجويد، والتجويد القرآني عدول عن الطريقة الطبعية للأداء إلىٰ الطريقة التي نزلت من السماء[١] ، فالقرآن الكريم نزل بطريقة مخصوصة في الأداء والقراءة، والرسول الكريم -صلىٰ الله عليه وسلم- تلقاه من عند ربه مرتلا منغما، وأُمر بترتيله، وحث صحابته الكرام علىٰ حسن التغني في تلاوته، وقد صح أنه -صلىٰ الله عليه وسلم- لما سمع أبا موسىٰ الأشعري يقرأ القرآن ويتغنىٰ به قال: "لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود"[٢]، فعبر عن جمال الترتيل وحسن الأداء بآلة من آلات الطرب والغناء، وإذا كانت الغاية المرجوة من قراءة القرءان هي التدبر؛ فإن ترتيله كما أنزله ربنا والتغني به كما أمر نبينا معين علىٰ تدبر آياته وتفقّه معانيه.

وإذا تأملنا الدلالة اللغوية لكلمة (إيقاع) نجدها تدل كما أبانت المعاجم علىٰ إيقاع ألحان الغناء[٣] ، أي: ما يحدثه اللفظ المنطوق حين يُغنَّىٰ من وقع داخل الأذن، فيطرب منه القلب والوجدان، ومن حكمة الله -جل جلاله- أنه أغنىٰ عباده بالطيب الحلال عن الخبيث الحرام، فأغناهم بالقرآن بما فيه من طرب وتغني عن ألحان الشيطان وأنغام أهل الأوثان.

---

(١) القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة. منجد المقرئين صـ٣.

(٢) صحيح مسلم، (٧٩٣)، صـ٣٥٧.

(٣) لسان العرب: وقع، القاموس المحيط: وقع

ولقد انماز الإيقاع النغمي لرواية (ورش) من طريق (الشاطبية) عن غيرها من الروايات، وانفرد (ورش) عن غيره من القراء بأمور كثيرة، أُلِّفت فيها الكتب الكثيرة، منها: (كتاب الإستبرق في رواية الإمام ورش عن نافع من طريق الأزرق الشاطبية لمحمد نبهان بن حسين المصري، وكتاب الثمر اليانع في رواية ورش عن نافع من طريق الشاطبية للدكتور توفيق إبراهيم ضمرة، وكتاب رواية ورش عن الإمام نافع المدني للشيخ محمود خليل الحصري)، وقد اقتصرنا هنا علىٰ اختلافات (ورش) عن باقي القراء، أو بعضهم مما اشتملت عليه سورة (نوح)، وذلك فيما يلي:

**أولا: مواطن تسارع النغم.**

**١-التسهيل بالإبدال**: أبدل (ورش) كل همزة ساكنة وقعت فاء الكلمة؛ فتبدل حرف مد من جنس سابقتها(١)، وقد اشتملت السورة علىٰ أربعة مواطن: ﴿يَّاتِيَهُمْ- مُومِناً -وَلِلْمُومِنِينَ -وَالْمُومِنَٰتِ﴾ .

**٢-التسهيل بالنقل**: وهو إلقاء حركة الهمزة علىٰ الساكن قبلها، وحذف الهمزة، فيحرك كل حرف ساكن صحيح بحركة الهمزة التي بعده، بشرط أن يكون الحرف الساكن في آخر الكلمة والهمزة في أول الكلمة التي تليها، وسواء أكان الساكن حرفا صحيحا أم تنوينا(٢)؛ (لأن التنوين يُنطَق نونًا حال الأداء)، وجاء النقل في أحد عشر موطنا من السورة، هي: ﴿نُوحاً اِلَىٰ- أَنَ اَنذِرْ - عَذَابٌ اَلِيمٌ - نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ اَنُ اعْبُدُواْ - مُّسَمّىً اِنَّ - أَطْوَاراً ۝ *اَلَمْ تَرَوْاْ - اَلاَرْضِ مرتان مجرورة ومرة منصوبة- وَقَدَ اَضَلُّواْ - دَيَّاراً ۝ اِنَّكَ﴾

**ملحوظة**: (أَلَ) تعد كلمة؛ لذلك تُنقل إليها حركة الهمزة التي تأتي بعدها.

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، صـ١٩.

(٢) البدور الزاهرة، صـ٢٣.

٣-فتح ياء المتكلم الواقعة قبل همزة قطع(١)، وذلك في موضعين من السورة: ﴿دُعَآءِىَ إِلاَّ ، إِنِّىَ أَعْلَنتُ﴾، والفتح هنا يجعل القارئ يتجاوز المد المنفصل.

**ثانيا: مواطن تباطؤ النغم.**

١-قرأ (ورش) بضم ميم الجمع ووصلها بواو لفظية إذا وقعت قبل همزة قطع، وتمد هذه الواو مدا منفصلا، مقداره ست حركات(٢)، وذلك في سبع مواضع من السورة: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ ، لَهُمْ إِسْرَاراً ، رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ ، وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرا ، خَلَفَكُمْ أَطْوَاراً ، وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ، مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾

٢-يمد (ورش) كلًّا من المد المنفصل والمد المتصل ست حركات، كالمد اللازم(٣)، وجاء المد المنفصل في السورة في ثلاثة عشر موضعا، سبعة منهم تتمثل في مد صلة الجمع المذكورة آنفا، وستة هي علىٰ الترتيب: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا ، فَوْمِهِۦٓ أَنَ ، جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ، وَوَلَدَهُۥٓ إِلاَّ خَسَاراً ، وَلاَ يَلِدُوٓاْ إِلاَّ﴾، أما المد المتصل فقد ورد في ثلاثة مواضع فقط هي: ﴿دُعَآءِىَ ، ٱلسَّمَآءَ ، خَطِيٓـَٔتِهِمْ﴾، وقد خلت السورة من المد اللازم.

٣-إذا أتت الهمزة قبل حرف المد، يسمىٰ مد البدل، وجاء في السورة في ثلاث كلمات فقط، هي علىٰ الترتيب: ﴿ءَاذَانِهِمْ -ءَالِهَتَكُمْ -خَطِيٓـَٔتِهِمْ﴾، وانفرد (ورش) بأن له في مد البدل ثلاثة أوجه: (القصر- والتوسط- والإشباع)(٤)، وقد اعتمدت الدراسة وجه (التوسط).

---

(١) البدور الزاهرة، صـ٤١٤، ٤١٥.

(٢) البدور الزاهرة، صـ١٨.

(٣) البدور الزاهرة، صـ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٤) البدور الزاهرة، صـ٢٣.

٤-المد العارض للسكون عند كل القراء له ثلاثة أوجه: (القصر- والتوسط- والإشباع)، لكن لـ(ورش) فيه قاعدة، مفادها أن يكون مد العارض مساويا لمد البدل أو زائدا، فإن قصر القارئ البدل فله ثلاثة العارض، وإن وسطه فله توسط العارض وإشباعه، وإن أشبعه فليس له إلا إشباع العارض(١).

وبناء علىٰ ذلك يكون لـ(ورش) وجهان في مد العارض، هما: (التوسط- والإشباع)؛ لأن الدراسة اعتمدت وجه توسط البدل، ومواضع الوقف التي ينتج عنها المد العارض في السورة أربعة، هي نهايات الآيات الأربع الأوائل: ﴿ٱلِيمٌ -مُّبِينٌ - وَأَطِيعُونِ - تَعْلَمُونَ﴾.

٥-أسكن (ورش) بعض الياءات التي فتحها غيره، منها موضع واحد فقط في السورة، ورد في آخر آية منها، هو: ﴿بَيْتِيَ﴾(٢).

**ثالثا: مواطن يرق فيها النغم.**

١- التسهيل بالإبدال: أَبدَل (ورش) الهمزة المفتوحة بعد ضم واواً إذا كانت فاء للكلمة(٣)، وقد وردت في موضعين من السورة، هما: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ ، لاَ يُؤَخَّرُ﴾.

٢- انفرد الإمام (ورش) بترقيق كل راء مفتوحة أو مضمومة قبلها ياء ساكنة، في كلمتين من السورة: ﴿نَذِيرٌ ، كَثِيراً﴾، أو كسر لازم متصل في أربع كلمات: ﴿لِتَغْفِرَ ، ٱسْتَغْفِرُواْ ، سِرَاجاً ، إِلاَّ فَاجِراً﴾، أو إذا فصل بين الكسر والراء حرفٌ ساكنٌ من غير حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ)، أما إذا كان الساكن الفاصل من

(١) البدور الزاهرة، صـ٢٣.

(٢) البدور الزاهرة، صـ٤١٥.

(٣) البدور الزاهرة، صـ٤١٤.

حروف الاستعلاء، فله التفخيم باستثناء حرف الخاء[١]، وقد ورد من ذلك كلمة: ﴿إِخْرَاجاً﴾ فقط. وبذلك يكون (ورش) منفردا بترقيق الراءات في سبع كلمات من السورة.

**ملحوظة:** تفخم الراء إذا تكررت في الكلمة، وذلك في ثلاث كلمات من السورة: ﴿وِرَاراً - إِسْرَاراً - مِّدْرَاراً﴾.

**رابعا: مواطن شدة الغنم.**

١- لـ(ورش) الفتح أو التقليل في كل ألف أصلها ياء، أو منقلبة عن ياء، أو الألف المكتوبة علىٰ هيئة ياء، وله في ذلك أصول، ترتبط بطريقه في مد البدل؛ فإذا قصره فليس له إلا الفتح، وإذا وسّطه فله التقليل فقط، أما إذا أشبعه فيجوز له الفتح والتقليل، ولم يرد من ذلك في السورة إلا كلمة واحدة في موضع واحد منها، هي كلمة: ﴿مُّسَمّىً﴾ حال الوقوف عليها[٢]، كما قلل الألف بعد الكاف في كلمة: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في كل القرآن، وقد وردت في موضع واحد من السورة.

٢- فعل الأمر من الثلاثي مضموم العين المبدوء بهمزة وصل إذا سبقه حرف صحيح ساكن أو تنوين؛ فيُضم هذا الحرف عند (ورش)؛ للتخلص من التقاء الساكنين[٣]، وقد ورد في موضع واحد من السورة، هو: ﴿ٱنِ ٱعْبُدُواْ﴾ .

٣- قرأ (ورش) كلمة: (وَدًّا) بضم أولها هكذا: ﴿وُدّاً﴾[٤].

---

(١) البدور الزاهرة، صـ٢٧، ٢٨.

(٢) البدور الزاهرة صـ٤١٥

(٣) البدور الزاهرة، صـ٢٧.

(٤) البدور الزاهرة، صـ٤١٥.

**(٢): نبذة عن سورة (نوح)**

ينماز الأسلوب القرآني في عرض قصصه من الإيجاز؛ لأن عرض القصة في القرآن وسيلة للاعتبار من أحداثها، لذلك نجد في عرضها تكثيفا للحوار واختصارا للزمان وتخطيا للأحداث غير المؤثرة، لأجل الوقوف علىٰ الأحداث الرئيسة[١]؛ فنحن لا نجد القرآن أولىٰ اهتماما بأسماء كثير من الشخصيات كـ(ابني آدم، وملك مصر، وعزيزها) في قصة سيدنا (يوسف) -عليه السلام-، كما لم يعن بالتفاصيل التاريخية التي ينشغل بها المؤرخون، كـ(تحديد مجمع البحرين) مكان الحدث في قصة سيدنا (موسىٰ) مع (العبد الصالح) -عليهما السلام-، أو (حكومة مصر) في أثناء وزارة سيدنا (يوسف) -عليه السلام-، أكانت من الهكسوس؟ أم من الفراعنة؟ فالغاية في سرد القصص الاعتبار منها، وإنما اكتفىٰ القرآن بالإشارات الموجزة التي تكشف جانبا من جوانب إعجازه وهو الإعجاز التاريخي.

والسورة التي تتناولها الدراسة تنتظم قصة سيدنا (نوح) -عليه السلام-، الذي ارتبطت قصته بحدث مثير ومؤثر في تاريخ البشرية؛ وهو الطوفان، وقد اصطفاه الله برسالته، واستحق بفضل حسن طاعته لربه وصبره في دعوته لقومه أن يكون من أولي العزم من الرسل الذين أمر الله نبيه الخاتم -صلىٰ الله عليه وسلم- أن يحذوَ حذوهم ويصبرَ صبرهم، قال تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٣٤]؛ ولهذا نجد حكايته مع قومه وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، سواء أكانت مفصلة أم موجزة.

---

(١) بدائع الإضمار القصصي، أ.د/ كاظم الظواهري، دار الهداية، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ١٩٩١م، صـ٦٩، ٢١٣.

وسورة (نوح) تعرض القصة بصورة متوسطة بين التفصيل والإجمال، ليست علىٰ النحو التفصيلي الذي وردت فيه القصة في سورة (هود)، ولا علىٰ النحو الإجمالي الذي وردت فيه القصة في سورة: (الأعراف)، والسورة تركز في مجملها علىٰ إظهار المفارقة بين صبر سيدنا (نوح) -عليه السلام- وكفر قومه وفجورهم الذين كانوا -كما وصفهم القرآن- أظلم الأمم وأطغاها، قال تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النجم: ٥١].

**(٣): المواضع التي ذكرت فيها قصة (نوح) مع قومه**

جاءت قصة سيدنا (نوح) -عليه السلام- مع قومه في صورتين، إما في صورة قصة أو حكاية، سواء أكانت مكتملة العناصر أم مختصرة، وإما في صورة خبر برقي لوظيفة ما.

**أولا: مواضع ذكرت فيها القصة في صورة حكاية:**

١- سورة (الأعراف) من آية: ٥٩ إلىٰ آية: ٦٤.

٢- سورة (يونس) من آية: ٧١ إلىٰ آية: ٧٢.

٣- سورة (هود) من آية: ٢٥ إلىٰ آية: ٤٨.

٤- سورة (الأنبياء) من آية: ٧٦ إلىٰ آية: ٧٧.

٥- سورة (المؤمنون) من آية: ٢٣ إلىٰ آية: ٣٠.

٦- سورة (الشعراء) من آية: ١٠٥ إلىٰ آية: ١٢٢.

٧- سورة (العنكبوت) من آية: ١٤ إلىٰ آية: ١٥.

٨- سورة (الصافات) من آية: ٧٥ إلىٰ آية: ٨٣.

٩- سورة (القمر) من آية: ٩ إلىٰ آية: ١٢.

١٠- سورة (نوح) كاملة.

**ثانيا: مواضع جاءت فيها القصة كخبر برقي:**

١- سورة (الحج) آية ٤٢.

٢- سورة (الفرقان) آية: ٣٧.

٣- سورة (ص) آية: ١٢.

٤- سورة (غافر) آية: ٥.

٥- سورة (ق) آية: ١٢.

٦- سورة (الذاريات) آية: ٤٦.

٧- سورة (التحريم) آية: ١٠.

**(٤): ترتيب أحداث القصة**

وبناء علىٰ ما جاء في القرآن وكتب التفاسير يمكن ترتيب أحداث القصة علىٰ النحو التالي:

**١-** كان بين (آدم) و(نوح) -عليهما السلام- عشرة قرون كلها علىٰ التوحيد[١].

**٢-** قوم (نوح) هم أول من أشركوا بالله -سبحانه وتعالىٰ- وعبدوا الأصنام، وقد انفردت سورة (نوح) بذكر أسماء هذه الأصنام الخمسة: (وُد، سواع، يغوث، يعوق، نسر).

**٣-** ثم أرسل الله نبيه نوحا -عليه السلام- لهم؛ لدعوتهم لعبادة ربهم.

**٤-** انقسم الناس حينما دعاهم (نوح) -عليه السلام- إلىٰ فئتين: (الرؤساء، والضعفاء)، أما فئة الرؤساء فقد سارعوا بالكفر، وأما فئة الضعفاء فقد انقسمت قسمين: قسما بادر بالإيمان، وهو القسم الأقل، وقسما ثانيا حرضهم الرؤساء علىٰ الكفر، فسارعوا باتباعهم. وقد ذكرت سورة (نوح) هذا التحريض من الملأ وسرعة استجابة الضعفاء لهم.

(١) ورد ذلك في حديث من رواية أبي أمامة. (معجم الطبري جـ٨، صـ١٤٠).

٥- مكث سيدنا (نوح) -عليه السلام- في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا إلىٰ مغفرة الله، وهم قائمون علىٰ كفرهم، باستثناء فئة قليلة مؤمنة من المستضعفين.

٦- لقي نبي الله (نوح) -عليه السلام- من قومه أشد أنواع التكذيب، فتارة يسبونه ويتهمونه بالجنون، وتارة يرفضون كلامه ويحجبون سمعهم وأبصارهم عنه، وتارة يطلبون منه علىٰ سبيل السخرية أن يطرد الضعفاء المؤمنين ليؤمنوا به فيرفض، حتىٰ قالوا له ائتنا بعذاب الله الذي وعدتنا به إن كنت صادقا.

٧- أوحي الله إلىٰ سيدنا (نوح) -عليه السلام- أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فدعا عليهم بالهلاك، فأمره الله أن يصنع السفينة.

وقد وقع خلاف بين التفاسير عن وقت دعوة سيدنا (نوح) عليه -السلام- عليهم. أكانت قبل وحي الله له بعدم إيمان الباقين من قومه؟ أم كانت بعده؟

فبعض التفاسير علىٰ أن دعاءه وقع بعد وحي الله له، وبعضها علىٰ أنه كان قبل ذلك، وممن قال بالرأيين (الطبري) في تفسيره؛ ففي تفسير آية: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة هود:٣٦]. ذهب إلىٰ أن الدعاء كان أولا، ثم نقل كثيرا من آراء السلف التي تؤيد ذلك، ثم ختم بقول (الضحاك) المخالف لذلك، وفي تفسير آية سورة (نوح): ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ ناقض نفسه، وذهب إلىٰ أن وحي الله له بعدم إيمان الباقين من قومه كان أولا، ونقل أقوالا تؤيد ذلك[1]،

(١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، جـ١٢، صـ٣٩٠، ٣٩١،،، جـ٢٣، صـ٣٠٨، ٣٠٩.

والراجح من القولين أن وحي الله له كان قبل دعائه؛ لأن الله قال بعد آية: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ ...﴾ بآية ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة هود:٣٧]. فكيف يكون قد دعا عليهم، والله يأمره بألا يشفع لهم؟!

٨- بعد صناعة السفينة أمر الله نبيه نوحا -عليه السلام- إذا جاء أمره بالعذاب أن يحمل المؤمنين وأهله ومن كل زوجين اثنين، وجعل علامة نزول العذاب أن يفور التنور.

٩- لما فار التنور ركب (نوح) -عليه السلام- ومن معه السفينة، وقال الدعاء الذي أمره الله به: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المؤمنون:٢٨]، وأمر الله السماء أن تنزل الماء المنهمر، والأرض جميعها أن تتفجر عيونا، فغمر الماء الأرض حتىٰ علا الجبال، وغرق القوم جميعهم.

١٠- كان من بين الكافرين زوجة نوح وابنه، وأمر ابنه معلوم في القرآن، فهو الابن الرابع لـ(نوح) -عليه السلام- واسمه (يام) أو (كنعان)، وإخوته (سام، وحام، ويافث)، وقد رفض الإيمان، وناداه أبوه ليركب معه في السفينة، لكنه رفض، وأخبر أباه بأنه سيصعد جبلا يعصمه من الماء، فأجابه أبوه ألا نجاة لأحد اليوم من عقاب الله إلا من آمن واستحق الرحمة، لكن الابن لم يستجب لأبيه، فكان من المغرقين.

١١- أما زوج نوح فلم يرد ذكرها في القرآن إلا في موضع واحد، في سورة التحريم، حين ضرب الله بها المثل مع امرأة لوط للذين كفروا، وقد بين القرآن أن تلك المرأتين خانتا زوجيهما، والمراد بالخيانة هنا -كما أجمع العلماء- خيانة الدين، وليست خيانة العرض. وقد ذكر الله مصير امرأة لوط في الدنيا في أغلب المواضع التي ذكر فيها قصة سيدنا (لوط) -عليه السلام-، خلافا لامرأة نوح،

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لِمَ لمْ يخص القرآن ذكر مصير امرأة نوح في الدنيا كما خص ذكر مصير امرأة لوط؟ أكانت من الغارقين في الطوفان؟ أم ماتت قبل ذلك؟ أم نجت؟ وكيف تنجو وهي كافرة؟

والجواب أننا إذا أخذنا في الاعتبار أن سيدنا نوحا -عليه السلام- قد عُمّر طويلا، فيحتمل أن تكون امرأته قد ماتت قبل الطوفان، وإن لم تكن قد ماتت فالأرجح أنها دخلت في الاستثناء الذي ورد في قول الله -تعالىٰ-: ﴿... إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ..﴾ [هود: ٤٠، المؤمنون: ٢٧]، فكان مصيرها الغرق، ولا يصح اعتبارها ناجية مع كفرها، حتىٰ وإن لم يستثنها الله من أهل سيدنا (نوح) -عليه السلام- الناجين حينما كان يخبر بنجاتهم في كثير من المواضع؛ فالله لم يستثن فيها ابنه كذلك، واكتفىٰ بذكر قصته مفصلة في سورة (هود)، أما زوجة لوط فاستثناؤها في معظم المواضع التي ذكر فيها قصة نجاة سيدنا (لوط) وأهله؛ لأنها فعلها كان أشنع؛ إذ كانت مع كفرها تحرض قومها -وهي امرأة عجوز- علىٰ الشذوذ الجنسي البغيض، فترشدهم إلىٰ ضيوفه، ولو تأملنا استفتاح الدعوة في قصص معظم الأنبياء إلىٰ أقوامهم لوجدنا اختلافا بينها وبين استفتاح دعوة سيدنا (لوط) -عليه السلام-، فمثلا الأنبياء (نوح، وهود، وصالح، وشعيب) -عليهم السلام- افتتحوا دعوتهم بقول الله -تعالىٰ-: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ ، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤ ، المؤمنون: ٢٣]، فتلمس في هذا النداء المضاف إلىٰ ياء المتكلم رفق كل نبي بقومه، وهو يحثهم علىٰ عبادة الله وحده، علىٰ الرغم مما اقترفوه من آثام علىٰ رأسها الكفر، أما سيدنا (لوط) -عليه السلام- فأغلب استفتاحاته للدعوة في مواطن قصصه في القرآن تأتي بأسلوب الاستفهام الإنكاري

التوبيخي علىٰ تلك الفعلة الشنعاء، متخطية الدعوة إلىٰ إخلاص العبادة لله -عز وجل-، كما في قول الله -تعالىٰ-: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٧٩]، وهذا يدل علىٰ أن تلك الجريمة من أعظم الجرائم عند الله، لذلك أمر الله سيدنا (جبريل) -عليه السلام- بأن يقلب الأرض التي كانوا يسكنونها عليهم؛ لما أحدثوا فيها من النجاسات.

## الفصل الأول:

### إرسال الله سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلى قومه

يتمثل هذا الفصل في قول الله- تعالىٰ-: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾

**المعنى العام للآية**

يبين الله -تعالىٰ- في هذه الآية إرساله رسوله نوحا -عليه السلام- إلىٰ قومه، حتىٰ لا يأتيهم عذاب ربهم جزاء علىٰ كفرهم واستكبارهم.

**بين يدي الآية**

تبدأ الآية بـ(إن) المؤكدة متصلة بالضمير (نا) العائد علىٰ الله تعالىٰ تعظيما له، لتعلن عن الحضور القوي لسارد الحكاية وراويها (الله -عز وجل)، والمد بالألف الكائن في هذا الضمير يحدث إيقاعا يتناسب مع عظمة المرسِل وعظمة الرسالة التي أرسلها، ويزداد هذا الإيقاع قوة في رواية (ورش) من خلال إطالة الصوت الذي يرسمه المد المنفصل المقدر بست حركات حين تلتقي الألف مع الهمزة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾ ، ثم يجد المتلقي في الآية بعد ذلك سرعة الإيقاع في التسهيل بالنقل في قوله تعالىٰ: ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ وفي هذا دلالة علىٰ سرعة التبليغ، كذلك يمثل النقل في قوله تعالىٰ: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ سرعة التحرك للإنذار، ويلحظ أن هذين الموضعين في غير رواية (ورش) يتسارع فيهما الإيقاع أيضا؛ لأن التنوين في الموضع الأول والنون في الموضع الثاني حكمهما الإظهار، والنون الساكنة والتنوين من الحروف التي تجمل الإيقاع النغمي بما فيهما من غنة، وأهل الطرب والإنشاد يتكئون عليهما كثيرا للترنم بهما، ولكن القارئ هنا لا يقف عليهما ويتخطىٰ الترنم بهما؛ لأن التسارع الإيقاعي هو المطلوب هنا، ومن ثم فإن رواية (ورش) تزيد من سرعة الإيقاع هنا بالتسهيل الذي يحل محل الإظهار، وليست تنقله من البطء إلىٰ السرعة.

وفي قوله -تعالىٰ-: ﴿أَنَ أَنذِرْ﴾ إيجاز بالحذف، قال صاحب الكشاف: "﴿أَنَ أَنذِرْ﴾ أصله: بأن أنذر، فحذف الجار وأوصل الفعل: وهي أن الناصبة للفعل، والمعنىٰ: أرسلناه بأن قلنا له أنذر، أىٰ: أرسلناه بالأمر بالإنذار. ويجوز أن تكون مفسّرة، لأنّ الإرسال فيه معنىٰ القول...."(١)، والراجح لدينا أنها مفسرة بمعنىٰ القول، والقول مضمر محذوف، ويفيد حذف لفظ القول هنا في عرض مشاهد القصة علىٰ السامعين، كأنها وقائع حية حاضرة يسمعونها ويرونها(٢).

لكن المتأمل في موضع الحذف هذا يجد تباطؤا إيقاعيا نشأ بسببه، من خلال المد المنفصل في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنَ﴾ والإطالة الصوتية في كلمة ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾ ليست تدل علىٰ عظمة المرسَل إليه؛ إذا المد بالياء تولد من إشباع الكسرة، فدل علىٰ عظيم انحرافهم وجرمهم، واستغراقهم فيه، مما يزيدهم ذلة وانكسارا، ومن ثم يحاكي الإيقاع المتباطئ هنا طول الصبر علىٰ النذير الذي سيمكث فيه سيدنا (نوح) -عليه السلام- السنين الطوال؛ فالله -جل جلاله- يطالب رسله بسرعة التبليغ والإنذار كما أمر نبيه الخاتم محمدا -صلىٰ الله عليه وسلم- في بدء دعوته بقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [سورة المدثر:٢]؛ إذ أمره بسرعة القيام والإنذار، ودل علىٰ ذلك الفاء التي تدل علىٰ السرعة؛ فالفساد الذي عم وساد بالكفر لا يتحمل التريث والإبطاء، بل يتطلب السرعة والعجلة، ثم يكون الأمر بالصبر علىٰ طول الدعوة واستمرارها وتحمل المشقة في سبيلها؛ لأن الأمر عظيم بعظمة المرسِل (الله -جل جلاله-)، ولأن

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، أ.د/ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، جـ٦/ صـ٢١٣.

(٢) بدائع الإضمار القصصي صـ ٢٤٠.

الله يعلم أن إجابة الإنذار تقابل من أغلب الناس بالصد والإنكار، ولذلك أصدر أمره لنبينا (محمد) -صلىٰ الله عليه وسلم- بالصبر علىٰ أمر ربه في الموضع نفسه الذي حثه فيه علىٰ سرعة التبليغ، فقال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [سورة المدثر:٧]؛ وقد اشتمل الإيقاع التجويدي لرواية ورش هنا علىٰ مفارقة إيقاعية جمعت بين سرعة تحاكي سرعة التبليغ، وبين إطالة تحاكي طول الصبر علىٰ الأمر العظيم المرسل من الإله العظيم.

وكما أن إيقاع رواية (ورش) يزيد من سرعة الإيقاع في مواطن سريعة الإيقاع في غيرها من الروايات؛ كذلك يزيد إيقاعها من تباطؤ الإيقاع في مواطن بطيئة الإيقاع في غيرها من الروايات؛ فقولاه -تعالىٰ-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا - فَوْمِهِۦٓ أَنَ﴾ يمد فيهما المد المنفصل حركتين أو أربع في أغلب الروايات والطرق؛ فيكون الإيقاع بهما بطيئا، ويزداد بطئا في رواية (ورش) من خلال إطالة المد ست حركات.

ويلحظ أن المد المنفصل هنا يفصل بين المرسَل إليه ومضمون الرسالة، مما يدل علىٰ استكراههم لها ونفورهم منها، كما دلت عليه الآيات التالية، وكما يفهم من قول (نوح) -عليه السلام- لهم: " ﴿...فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨﴾ [سورة هود:٢٨]، وإذا تأملنا الآية السابقة في سياقها في سورة (هود)، نجد أن الله أطنب فيه في تفصيل ألوان الصد والتكذيب والإعراض عن رسالة (نوح) -عليه السلام-، وهذا التفصيل لم يرد في أي سورة أخرىٰ سوىٰ سورة (نوح)؛ ففي سورة (هود) قالوا له متحدين: ﴿*قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾ [سورة هود:٣٢]، وهذا مما انفردت به سورة (هود)، وفي سورة (نوح) صدوا عنه بأن ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ

جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح: ٧]، وهذا مما انفردت به سورة (نوح)، ولو تدبر المتلقي بداية القصة في السورتين لوجد التشابه الإيقاعي بينهما، فالآية الأولىٰ في القصة من سورة (هود) تبدأ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا - نُوحًا إِلَىٰ﴾ [سورة هود:٢٥] ؛ ففيها تسارع إيقاعي في الموضعين: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا -نُوحًا إِلَىٰ﴾ وهذا التسارع يزداد في إيقاع رواية (ورش) من خلال التسهيل بالنقل، وكذلك نجد التباطؤ في موضع حذف القول بين المرسَل إليه ومضمون الرسالة: ﴿ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي﴾، والذي يزداد بطئا في رواية (ورش).

ويستمر التسارع الإيقاعي في الآية الكريمة بعد ذلك، من خلال التسهيل بالإبدال في قوله تعالىٰ: ﴿يَأۡتِيَهُمۡ﴾ ومن خلال التسهيل بالنقل في قوله تعالىٰ: "عَذَابٌ اَلِيمٌ" الذي يحل محل الإظهار الحلقي في غير رواية (ورش)؛ فالعذاب إن أصروا علىٰ كفرهم قريب وإن طال الزمان بهم؛ لأن سنين مكوث الكافرين في الدنيا -وإن كثرت- عند الله ومقارنة بالآخرة قليلة، وما دام المنذِر هو الله فالعذاب متحقق الوقوع؛ لأن المترقب في إخبار الله تعالىٰ -كما قال الزمخشري- بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه(١)؛ فجاء الإيقاع المتسارع ليؤكد قرب الوقوع وحتميته من باب قوله تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [سورة النحل: ١].

ويدل علىٰ ذلك أيضا أن الله أجاب دعاء نبيه (نوح) -عليه السلام- حين طلب النصرة علىٰ تكذيب قومه له بسرعة وقوع العذاب من خلال فاء العطف التي تدل علىٰ

(١) الكشاف، الزمخشري، جـ٣، صـ٣٩٦.

السرعة؛ إذ يقول: ﴿*فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [سورة القمر:١٠-١٢]، ويقول أيضا: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١١٩﴾ [سورة الشعراء:١١٧-١١٩]، ومعلوم من الآيات الأخرىٰ أن الله أمره أولا ببناء الفلك وأخر عنهم العذاب مدة استغراقه في صناعته، كما قال تعالىٰ:﴿فَقَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٤٠﴾ [سورة المؤمنون:٢٦-٢٧]، ومعلوم أيضا أنه استغرق في بنائها دهرا طويلا، فقد جاء في تفسير ابن كثير: "فقال بعض السلف: أمره الله تعالىٰ أن يغرز الخشب ويقطعه ويبسه، فكان ذلك في مائة سنة، ونجرها في مائة سنة أخرىٰ، وقيل: في أربعين سنة، فالله أعلم."[1]، ومن ثم فإن نجاته وإغراق قومه لم يأتيا مباشرة بعد دعائه، وإنما عبر الله عنهما بفاء السرعة لتحقق وقوعهما.

**وختاما تنتهي** الآية بالمد العارض للسكون، و(ورش) في وجه توسط البدل يمده أربع حركات أو ستا، فينشأ عن ذلك تباطؤ إيقاعي يحاكي طول العذاب الأليم وخلودهم فيه؛ فهو سريع النزول بهم، ملازم البقاء لهم، كما ترسم الكسرة والياء في هذا المد انكسار الظالمين وإذلالهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، جـ٤، صـ٣١٩.

وقد بينت هذه الآية شخصيات الحكاية، ممثلة في: المرسِل (الله -عز وجل-)، وهو الراوي الحقيقي للحكاية، والرسول (نوح -عليه السلام- ) وهو بطل الحكاية التي تروي السورة جزءا من حياته، والمرسَل إليه (قوم نوح)، هذا من جهة المضمون. أما من جهة الفن والخطاب فالمرسَل إليهم هم المدعوُّون إبان ظهور الإسلام وبعده والرسالة هي السورة كلها؛ لأن الكلام كلام الله المنزل علىٰ رسوله (محمد) -صلىٰ الله عليه وسلم-.

## الفصل الثاني:

### تبليغ سيدنا (نوح) -عليه السلام- رسالة ربه إلى قومه

يأتي هذا الفصل في قول الله- تعالىٰ-: ﴿فَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ اَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾

**المعنى العام للآيات**

تبين الآيات استجابة (نوح) -عليه السلام- لأمر ربه، فبادر بتبليغ الرسالة، فأمر قومه بعبادة ربهم؛ لينالوا مغفرته ورحمته بكشف العذاب عنهم.

**بين يدي الآيات**

تنتقل السورة مباشرة إلىٰ الفصل الثاني في تبليغ (نوح) -عليه السلام- رسالة ربه، في قول الله- تعالىٰ-﴿فَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ اَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾وتأتي بلاغة الإضمار القصصي في حذف قيام سيدنا (نوح) -عليه السلام- وذهابه إلىٰ قومه لتكون دالّة علىٰ سرعة امتثاله بسرعة التبليغ، ومبادرة الإنذار.

وفي هذا دلالة علىٰ ترفقه بقومه وحرصه علىٰ هدايتهم، ونلحظ هذا أيضا في قوله تعالىٰ: ﴿فَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾ فقد "أضافهم إلىٰ نفسه إظهاراً للشفقة"(١).

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت: يوسف علي بدوي، محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، جـ٣، صـ٥٤١.

وحذف الياء من ﴿يَٰقَوْمِ﴾" والاكتفاء عنها بالكسرة لكل القراء علىٰ اللغة الأشهر في نداء المضاف إلىٰ ياء المتكلم[١] يزيد من سرعة الإيقاع ليحاكي تعجله في تبليغ قومه؛ إذ الياء لو لم تحذف لالتقت بهمزة "إِنّي"، فيجب مدها ست حركات.

والآيات تقدم حوارا مكثفا لسيدنا (نوح) -عليه السلام- أبان فيه عن مضمون رسالته التي استغرقت ما يقرب الألف سنة في بضع آيات، فدعوة سيدنا (نوح) -عليه السلام- الممتدة في هذه المدة الزمانية الطويلة، والموصولة الليل بالنهار، والمتنوعة بين الإعلان والجهار اشتملت علىٰ كثير من المحاورات والمساجلات، عبر عنها رب العزة بهذه المحاورات المكثفة التي وردت في السورة وغيرها من السور الأخرىٰ التي تناولت القصة.[٢] و"الحوار المكثف يعد من أرقىٰ العروض لما يمتاز به من قدرة علىٰ جمع المتفرقات في الزمان والمكان والموضوع وتوصيلها في صورة متكاملة تؤدي به إلىٰ إدراك واعٍ لأبعاد الموضوع."[٣]

وتنفرد رواية (ورش) في ترقيق راء ﴿نَذِيرٌ﴾، وتفخيم الراء في باقي الروايات يدل علىٰ قوة النذير وشدته، أما ترقيقها عند (ورش) ففيه تأكيد علىٰ رقة دعائه ورفقه بقومه وشفقته عليهم؛ فالرحمة هي الأصل الكائن في رسالات الرسل، وما جاءوا بالتخويف والوعيد إلا إشفاقا علىٰ قومهم من استحقاق العذاب عليهم، من باب قول الشاعر:

---

(١) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري المصري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط٢٠٠٤م، جـ٤، صـ٣٣.

(٢) بدائع الإضمار القصصي صـ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) بدائع الإضمار القصصي صـ ٢٤١.

فَقَسَا لِتَزْدَجِرُوا وِمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَىٰ مَنْ يَرْحَمُ(١)

ولذلك نجد القرآن يخص الأنبياء في بعض المواضع بالمنذرين دون المبشرين،مع أن الرسول يأتي مبشرا ونذيرا، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿..إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة هود:١٢]، وقوله تعالىٰ:﴿..إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة يس:٦٨-٦٩].؛ فالآية الأولىٰ قصرت رسالة (محمد) – صلىٰ الله عليه وسلم- علىٰ الإنذار فقط، والثانية بينت أن القرآن جاء للإنذار وإقامة الحجج الواضحات علىٰ جميع الخلق، ومن لطائف الجمع بين الإنذار والتبشير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة يس:١٠] ؛ فالأصل في تبليغ الرسل -كما يفهم من الآية- الإنذار، ثم يكون التبشير بعد تحقق الخشية والاتباع، إذ درء المفاسد بالزحزحة عن النار مقدم علىٰ جلب المصالح بالخلود في الجنة.

ونلحظ أن النظم الكريم منذ هذه الآية وحتىٰ قرب ختام السورة قد ورد الحوار فيه علىٰ لسان سيدنا (نوح) -عليه السلام- دون تدخل في الرواية، أو التعقيب علىٰ شيء فيها، خلافا لآية واحدة رواها (ورش) آيتين.

تنتقل الآيات بعد ذلك لتكمل حوار سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلىٰ قومه راسمة مضمون النذير في قوله تعالىٰ: ﴿أَنُ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾، وتختلف القراءات في ضبط نون ﴿أَنُ﴾حين تلتقي ساكنة مع عين ﴿ٱعْبُدُواْ﴾الساكنة، ولأجل التقاء الساكنين تحرك النون، فقرأ (عاصم وحمزة وأبو

(١) ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي)، ت: عبد الحميد يونس، عبد الفتاح مصطفىٰ، مكتبة: علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر بمصر، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، صـ٢٠٧.

عمرو): "﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة نوح:٣]. " بكسر النون، والباقون ومنهم (نافع) وراوييه: "﴿ٱنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾" بضم النون.

يقول عبد الله الطيب: "والضمة والكسرة متقابلتان...، وأقصد بقولي متقابلتان، بينهما نوع من الضدية، فالضمة حركة تُشعر بالأبهة والفخامة، والكسرة تُشعر بالرقة واللين..."(١).

وبناء علىٰ ذلك تكون قراءة التخلص من التقاء الساكنين بالكسر مظهرة لتذلل العبد وانكساره لخالقه في العبادة، وحسن التذلل من العبد هو ذروة العزة له بين الخلائق؛ لذلك تجمع (عبد) حين تضاف إلىٰ الله -جلت عظمته- علىٰ (عباد)، وليس علىٰ (عبيد)، وهذه العزة الناشئة من حسن التذلل والخضوع تتوافق مع قراءة التخلص من التقاء الساكنين بالرفع، فالعبد يحسن التذلل والخضوع لربه ليُعزه ويرفعه بهذا الخضوع في الدنيا والآخرة، ومن ثم قراءة التخلص بالكسر تتناسب مع الفعل ذاته، أما قراءة التخلص بالضم، فتتناسب مع غاية الفعل.

وكلتا القراءتين حسنة، ولكن قراءة التخلص بالضم أكثر تناسبا مع السياق؛ لأن سيدنا نوح -عليه السلام- يرغبهم في عبادة الله بالفضل المترتب عليها بدليل ذكره عاقبة ذلك مباشرة في قوله -تعالىٰ-: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، والعزة مرتبة علىٰ حسن التذلل لله، ولو تأملنا إيقاع الآية لوجدنا حركتي الفتحة والضمة أكثر انتشارا فيها، فإذا استثنينا حركة النون نجد الفتحة تكررت سبع مرات ثم الضمة ست مرات، أما الكسرة فلم تأت إلا مرتين، وكلتا المرتين كانتا في الكلمة الخاصة بسيدنا نوح -عليه السلام- ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، في حين قد خلت الكلمتان الخاصتان برب العزة

(١) المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر، لبنان، ط٢، ١٩٧٠م، جـ١، صـ٦٩.

من الكسرة ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾، ومن ثم إذا حركت النون بالضم كان التقاء الضمتين المتتاليتين مع لام لفظ الجلالة المفتوحة المفخمة في قول الله- تعالىٰ-: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ مشعرا بالعزة الناتجة من حسن التذلل إلىٰ الله، كما أن قراءة التخلص بالضم تتفق مع نطق همزة الوصل حين بدء النطق بالفعل.

و﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾نحو ﴿أَنَ أَنذِرۡ﴾ في الوجهين، ففيه إيجاز بالحذف، وفي هذا زيادة في الدلالة علىٰ ترفق سيدنا نوح -عليه السلام- بقومه وسرعة امتثاله لأمر ربه. وعند وصل الآيتين السابقتين ببعضهما تمتزج كلمتا: ﴿مُّبِينٌ ۝١ أَنِ﴾ مع بعضهما من خلال التسهيل بالنقل؛ إذ تحذف همزة "أَنُ"، وتنقل حركتها إلىٰ نون التنوين في ﴿مُّبِينٌ﴾، فتقرآن هكذا: (مُبِينُنَنْعْ..)، فيتسارع الإيقاع؛ ليؤكد علىٰ سرعة مبادرة سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلىٰ دعوة قومه.

وإذا كان النذير المرسل به سيدنا (نوح) -عليه السلام- يحمل تخويفا وتهديدا بالعذاب، فإن المتأمل فيه يجد رحمات التبشير من الله -جل جلاله- تتخلله، وذلك في قوله -تعالىٰ-: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۘ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾"، "فإن قلت: كيف قال: ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟ قلت: قضىٰ الله مثلا أنّ قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن بقوا علىٰ كفرهم أهلكهم علىٰ رأس تسعمائة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلىٰ أجل مسمىٰ، أىٰ: إلىٰ وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه، وهو الوقت الأطول تمام الألف. ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت، ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير."[1]

(١) الكشاف، الزمخشري، ج٦، ص٢١٣.

و(ورش) في قراءته للآية يسهل همزة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ ويبدلها واوا، وهذا الإبدال يخلص المستمع من قوة الهمزة وشدتها، وينقله إلىٰ حرف الواو الرخو الذي يتناسب مع مقام الرحمة والعطاء فتأخير الأجل سببه كشف العذاب عنهم، ثم يزيد (ورش) في القراءة واوا مدية مشبعة بست حركات ناشئة من صلة ميم الجمع ومدها مدا منفصلا، وفي هذا دلالة علىٰ طول التأخير الذي يعد مظهرا من مظاهر الرحمة من الله -تعالىٰ-.

أما كلمة "يُؤَخَّرُ" الثانية فقد جاءت منفية لتفيد تحقيق وقوع الأجل في حينه دون تأخير، والانتقال من الهمزة الشديدة التي تعوق التدفق الإيقاعي إلىٰ الواو الرخوة التي تزيد من تدفق الإيقاع يشير إلىٰ سرعة وقوع الأجل في وقته دون تأخير، ومن جماليات الإيقاع الورشي الدالة علىٰ ذلك حين وصل الجملتين: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ﴾، ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ يحدث تسهيل بالنقل بين كلمتي: ﴿ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ ﴾؛ إذ تحذف الهمزة وتنقل حركتها إلىٰ نون التنوين الساكنة، فتنطقان هكذا: (مُسَمَّنِنَّ)، وهذا مما يؤكد سرعة وقوع الأجل إذا حان.

وكلمة: ﴿ مُّسَمًّىٰٓ﴾، يحسن الوقوف عليها في التلاوة[1]، والوقف عليها في وجه توسط البدل يستلزم تقليل ألفها، أي: (إمالتها إلىٰ الكسرة إمالة صغرىٰ)، والأجل المسمىٰ المراد به هنا وقت موتهم، والموت انتقال الجسد من حالة النهوض

---

(1) الوقف هنا يسمىٰ بالوقف الكافي، وهو: أن يتصل ما بعده بما قبله معنىً لا لفظًا. [منار الهدىٰ في الوقف والابتدا، أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، صـ٩، ١٠، وصـ٤٠٥].

والحركة والقدرة إلىٰ حالة الرقاد والسكون والعجز التام، ومن ثم يشير التقليل هنا إلىٰ مآل أبدانهم عند مماتهم.

والآيات الثلاثة التي تسرد هذا الفصل تنتهي كلها بمد عارض للسكون يبطئ من الإيقاع، وهذا التباطؤ الإيقاعي قد يدل علىٰ معنىٰ الملازمة والمداومة ؛ فالمد في كلمة: ﴿ مُّبِينٌ ﴾ يدل علىٰ مداومة سيدنا نوح -عليه السلام- علىٰ إبانة النذير، وفي كلمة: ﴿و وَأَطِيعُونِ﴾ يدل علىٰ مداومة طاعة الرسل، وفي كلمة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ يدل علىٰ مداومة استحضار العلم بأن الإنسان ميت لا محالة، وأنه إذا حان أجله لا يستطيع رده أو تأجيله.

والحوار الذي ساقه سيدنا (نوح) -عليه السلام- لم يظهر القرآن رد قومه عليه، وإنما أخره في السورة، كما سيتبين في الفصل الأخير منها.

## الفصل الثالث:

### مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام- ربه.

**توطئة.**

يدلف المتلقي من الآية الرابعة في السورة إلىٰ الفصل الأخير منها الذي استغرق بقية السورة، وفيه استخدم القرآن تقنية الاسترجاع في السرد القصصي، والاسترجاع مخالفة لسير السرد تقوم علىٰ عودة الراوي إلىٰ حدث سابق، وغالبا ما تكون وظيفته تفسيرية: تسلط الضوء علىٰ ما فات أو غمض من حياة الشخصية في الماضي، أو ما وقع لها في أثناء غيابها عن السرد. فكل عودة للماضي تشكل استذكارا يقوم به، ويحيلنا من خلاله علىٰ أحداث سابقة علىٰ النقطة التي وصلتها القصة، وهناك وظائف أخرىٰ للاستذكار منها: الإشارة إلىٰ أحداث سبق للسرد أن تركها جانبا ثم اتخذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصل في القصة، أو العودة إلىٰ أحداث سبقت إثارتها تكرارا يفيد التذكير، أو لتغيير دلالة بعض الأحداث السابقة[1].

**ومن ذلك نشأت أنواع مختلفة من الاسترجاع:**

**الأول:** استرجاع خارجي: يعود إلىٰ ما قبل بداية الرواية.

**الثاني:** استرجاع داخلي: يعود إلىٰ ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر ذكره في النص.

---

(١) البنية الزمنية بين الاسترجاع والاستباق في رواية: "العقرب" لحسين مرتضائيان آبكنار ، أ.د/ رسول بلوي، أ.د/ حسين طرفي عليوي ، دراسة مستلبة من مجلة كلية الآداب جامعة الكوفة ، ٢٠١٧ صـ٢٩٢.

**الثالث:** استرجاع مزجي وهو ما يجمع بين الاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلي، فهو خارجي باعتباره ينطلق من نقطة زمنية تقع خارج نطاق المحكي الأول، وهو داخلي أيضا بحكم امتداده ليلتقي في النهاية مع بداية المحكي الأول(١).

ويعد الاسترجاع هنا داخليا؛ إذ ينتقل المشهد فجأة من بداية القصة إلىٰ قرب نهايتها حيث يقف "بطل" الحكاية سيدنا (نوح) -عليه السلام- بين يدي ربه في نهاية رحلته الدعوية بعد أن بلّغه ربه -في أرجح الأقوال- أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ليبرئ نفسه من التقصير ويشكو لربه إصرار قومه علىٰ التكذيب، وتظهر في شكواه نبرات الحزن والأسىٰ؛ لتؤكد مدىٰ معاناته وحرصه علىٰ إنقاذ قومه من ظلمات الكفر والفجور، ولكن بعد عناء طويل وجهاد كبير لم يستطع نبي الله الصابر الأواب أن يظفر من قومه إلا بعدد قليل جدا، وهنا يتحول دور البطل إلىٰ راو داخلي للقصة، محدثا نوعا من التشويق لدىٰ المتلقي الذي يتطلع إلىٰ معرفة الأحداث التي كانت بين بطل القصة وقومه؛ فالمتلقي ينتظر جواب قوم نوح له، لكن المشهد تحول فجأة إلىٰ تلك النقطة البعيدة في الحكاية، فتشوق إلىٰ استرجاع ما فات منها.

لذلك نجد هذا الفصل من الحكاية يتلخص في مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام-ربه، وشكواه من قومه، فقص في هذه المناجاة عناءه مع قومه في دعوته التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم ينهي المشهد الختامي بالدعاء علىٰ الظالمين والدعاء للمؤمنين، وكأن تلك المناجاة اعتذار من نبي رحيم عن اضطراره للدعاء علىٰ قومه، ومن بدائع هذه المشاهد أن رب العزة قدم الإجابة قبل الدعاء.

---

(١) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م، صـ٥٨ ،، البنية الزمنية بين الاسترجاع والاستباق في رواية: "العقرب" صـ٢٩٦.

وأول ما نلحظه في هذا الفصل من مظاهر إيقاعية هو انتقال الفواصل القرآنية لنهايات الآيات من حروف الغنة الساكنة المسبوقة بحرف مد (واو أو ياء) إلىٰ فاصلة تنتهي بألفي مد، وهذان الألفان يمثلان مكابدة سيدنا (نوح) -عليه السلام-في دعوته، وصرخات عنائه وآهات شقائه، ولم تحد الآيات عن ذلك إلا في ختام آية واحدة (في العد المدني الأول)، هي قوله -تعالىٰ-: ﴿وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾"(١)

وتنقسم مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام-إلىٰ خمسة مشاهد. معظم أحداثها تبدأ بإسناد القول إلىٰ سيدنا (نوح) -عليه السلام-.

**المشهد الأول:**

**شكوى سيدنا (نوح) -عليه السلام-إلى ربه إرهاقه في الدعوة.**

يجسد هذا المشهد قول الله -تعالىٰ-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝﴾

**المعنى العام للآيات**

تصور هذه الآيات شكاية سيدنا (نوح) -عليه السلام- لربه عناءه وشقاءه في الدعوة إلىٰ ربه، ومواصلة دعوته ليلا ونهارا وسرا وجهارا رحمة بقومه، لينالوا مغفرته، ثم هم يقابلونه بالتكذيب والإنكار والسخرية والاستكبار.

**بين يدي الآيات**

تبدأ الآيات بقوله -تعالىٰ-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝﴾

(١) البيان في عد آي القرآن، صـ٢٥٤

إن نبي الله نوحا -عليه السلام- يشكو لربه مواصلته للدعوة ليلا ونهارا وطول شقائه بها، فمع هذا الجهد الفائق لم يجد إلا الصد والفرار، وفي الآية الأولىٰ إشارة إلىٰ زمان الدعوة وهو جزء من زمان الحكاية، اشتمل علىٰ أكثره، وهذا ما يرسمه الإدغام والغنة الكائنان بين الكلمتين النكرتين المتضادتين الدالتين علىٰ العموم: ﴿لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾، فالإدغام يمزُج الكلمتين ببعضهما، كأنهما كلمة واحدة، ليؤكد علىٰ حرص سيدنا (نوح) -عليه السلام- علىٰ استغراق معظم زمان حياته في الدعوة، حتىٰ تساوىٰ فيها الليل والنهار، والغنة صوت خيشومي يظهر أنين سيدنا (نوح) -عليه السلام-، كما أنه يبطئ من الإيقاع ليدل علىٰ طول المداومة وكثرة الملازمة، وتظهر الغنة أيضا بكثرة في هذا المشهد في النون المشددة بالكسر لكلمة " إِنِّي" الدالة علىٰ تأكيد شقائه في دعوته.

والمتأمل في الآية الثانية يجد سرعة الفرار من قوم نوح لدعوته، وقد انقسم القراء في ياء ﴿دُعَآءِي﴾ إلىٰ قسمين[1]: قسم يسكن الياء: ﴿دُعَآءِيٓ إِلَّا﴾، وهم (عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب)، وينتج عن هذا مد منفصل، اختلف القراء والرواة في مده أو قصره، ثم اختلف من يمد منهم في مقدار مده، أما باقي جمهور القراء والرواة وعلىٰ رأسهم (ورش) فيفتحون الياء: ﴿دُعَآءِيَ إِلَّا﴾، ومن ثم يتسارع النغم الإيقاعي لانعدام المد المنفصل، والتسارع النغمي هنا لرواية (ورش) وغيرها من قراءة الجمهور يتناسب مع سرعة الفرار المترتب عليها قطع الدعاء دون أن يستكمله سيدنا (نوح) -عليه السلام-، فالمد المتصل في ﴿دُعَآءِيَ﴾ لجميع القراء يدل علىٰ صلابته وصبره وعنائه في دعائه، في حين فتح الياء وتجاوز المد المنفصل يدلان علىٰ سرعة انصراف قومه وفرارهم قبل استكمال دعائه، كأنهم يبترونه بترا، وتكرار الراء (وهو

(١) البدور الزاهرة، صـ٤١٤، ٤١٥.

حرف من صفته التكرار) مع الألف في ختام الآية له دلالة إيقاعية؛ إذ يصور مداومة الصد وقوة الإعراض، ومن ثم تجاوز ترقيق الراء الأولىٰ عند (ورش) -علىٰ الرغم من كسر ما قبلها- أليق بالمعنىٰ من ترقيقها.

وتأتي الآية التالية تُفصِّل هذا الصد وذلك الفرار في صورة مؤلمة يبينها ربنا -جل جلاله- في قوله -تعالىٰ-: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾

فالآية ترسم المفارقة الكائنة بين سيدنا (نوح) -عليه السلام- وقومه؛ فبينما هو يدعوهم إلىٰ خيري الدنيا والآخرة وإلىٰ مغفرة الله -وسعت رحمته-؛ فإنهم يلاقونه بأبشع وسائل التكذيب، وخص المغفرة هنا مع أن أصل الدعوة -كما بين من قبل- عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله؛ لأنها غاية الغايات من العبادة، فيدل بذلك علىٰ ترفقه بهم وإشفاقه عليهم، ومن ثم تكون طرائق إعراضهم أدل علىٰ قسوة قلوبهم وإظلام بصائرهم؛ إذ بالغوا في الإنكار بوضع الأصابع في الآذان نفورا من سماع الإنذار، وحجبوا عيونهم بثيابهم عن الأنوار، وزادوا إصرارا علىٰ إصرار، واستكبارا فوق استكبار.

والصد والفرار هنا صورة من صور الرد علىٰ حوار سيدنا (نوح) -عليه السلام- الدعوي الذي دعا فيه قومه إلىٰ عبادة ربه.

والقراءات القرآنية تتوافق فيما عدا المد المنفصل مع بعضها إلا روايتي (ورش والدوري عن الكسائي)؛ فـ(الدوري) يزيد في الإيقاع إمالة الألف الذي قبل النون في كلمة: ﴿ءَاذَانِهِمْ﴾، وفيه إشارة إلىٰ زيغ قلوبهم، أما (ورش) فينفرد بالخلاف في موضعين، الأول منهما: ترقيق الراء في كلمة: ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ وهذا يتناسب مع مقام المغفرة ويتناسب أيضا مع إشفاق نبيهم بهم، أما الموضع الثاني: فيتمثل في مد البدل في كلمة: ﴿ءَاذَانِهِمْ﴾؛ إذ يصور هذا المد مع المد المنفصل المطول عند (ورش)

مدىٰ صدهم وإعراضهم، ليؤكدا بلاغة المجاز المرسل الكائن في التعبير عن الأنامل بالأصابع، والذي يصور مبالغتهم في حجب أسماعهم عن الحق، ومن ثم كان اجتماع ترقيق الراء في الآية المبين لرفق نبيهم بهم مع مدودها المظهرة لشدة إعراضهم تأكيد علىٰ المفارقة الكائنة بين الطرفين.

يستمر سيدنا (نوح) -عليه السلام- في مناجاة ربه فيقول: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ۝﴾

قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا، ثم دعاهم جهارا، ثم دعاهم في السر والعلن، فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتىٰ يصح العطف؟

قلت: قد فعل- عليه السلام- كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنىٰ بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإعلان والإسرار"(١).

ويبدو أن الدعوة في مرحلتها الثالثة كانت تميل أكثر إلىٰ السرية، يدل علىٰ ذلك استخدام الفعل الرباعي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الذي يدل علىٰ شدة التخفي، ثم التأكيد بتكرار كلمة " لَهُمْ" مع جواز الاستغناء عنها لدلالة السياق عليها، ثم تأكيد الفعل بالمفعول المطلق ﴿ إِسْرَاراً ﴾؛ وذلك لأن الدعوة سرا آمن لسيدنا (نوح) -عليه السلام- من بطشهم به وأحرص علىٰ دعوته من تناصرهم عليها بالباطل، كما أن الدعوة سرا تتطلب منه تكرارها لكل رجل ولكل امرأة حتىٰ يستوفي جميع الخلق من قومه خلافا للدعوة جهرا، وفي هذا مشقة فائقة لسيدنا (نوح) -عليه السلام-، ودليلا واضحا علىٰ مدىٰ حرصه علىٰ هداية قومه وإيمانهم رحمة بهم وإشفاقا عليهم، وهذا يتناسب مع

(١) الكشاف، الزمخشري، جـ٦، صـ٢١٤

مقام الشكوىٰ هنا، فهو يشكو مكابدته في الدعوة التي تتزايد بالدعوة سرا، وما سرده من شكوىٰ إعراض قومه هنا سرده ليظهر المفارقة بين فعله وفعل قومه.

والمتأمل في الآيات يترجح لديه أن الدعوة السرية كانت أكثر فاعلية في إنصات بعض نفر من قومه له مما سمح له باستكمال حواره الدعوي كما نراه في الآيات التالية، وإن كانوا لم يستجيبوا له، وفاعلية الدعوة السرية يؤكدها المفعول المطلق (إسرارا) ويعضدها في رواية (ورش) الصلة في (لهم) وتطويل الصوت بها ست حركات قبل المفعول المطلق، في حين أن الإعلان هنا لم يؤكد بالمصدر، ومن ثَم ناسبه سرعة الإيقاع؛ فجاءت ياء (إِنِّيَ) مفتوحة ليتحول الإيقاع إلىٰ تسارع من خلال تخطي المد المنفصل؛ لأن الياء لو سكنت لالتقت بالهمزة، ووجب إشباعها ست حركات. وتكرار (الراء) مع (الألف) في كلمة ﴿إِسْرَاراً﴾ يدل علىٰ تكرار دعوات سيدنا (نوح) -عليه السلام- السرية.

**المشهد الثاني:**

**الاستدلالات الحجاجية على قدرة الله ورحمته.**

يتمثل هذا المشهد في قول الله -تعالىٰ-: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً ۝١٢ مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ۝١٤ *أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً ۝١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ ٱلأَرْضِ نَبَاتاً ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ بِسَاطاً ۝١٩ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ۝٢٠﴾

**المعنى العام للآيات**

لا تزال دعوة نبي الله (نوح) -عليه السلام- مستمرة؛ إذ بين لقومه في هذه الآيات أن الإيمان بالله وكثرة استغفاره تفتح لهم أسباب الرزق والهناء، ولا ينبغي لهم أن

يكفروا بربهم الذي غمرهم بنعمه؛ فقد خلقهم أطوارا وخلق السموات والأرض والشمس والقمر آيات بينات لهم تبين قدرة ربهم في الخلق، كما أنه خلقهم من الأرض أول مرة؛ ومن ثم هو قادر علىٰ إخراجهم منها للحساب، ثم جعل الأرض ذلولا مبسوطة لهم لسهولة التنقل فيها.

**بين يدي الآيات**

في هذا المشهد تفصيل للاستدلالات الحجاجية التي ساقها سيدنا (نوح) -عليه السلام- محاورا بها قومه لترغيبهم في الإيمان.

فإن نبي الله نوحا -عليه السلام- لما يئس من ترغيب قومه في الإيمان بعطاءات الآخرة بدأ يحاورهم ليرغبهم بعطاءات الدنيا، فبين لهم أن الإيمان بالله وكثرة استغفاره سبب في جلب الرزق في الدنيا، وبدأ في تفصيل النعم زيادة في الترغيب، فقال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾

والإيقاع التجويدي لرواية (ورش) في الآية الأولىٰ ينفرد بترقيق الراء في كلمة: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾ المناسب لمقام الغفران، كما ينفرد بمد صلة ميم الجمع مدا مطولا في قوله تعالىٰ: "رَبَّكُمُوَ إِنَّهُۥ"، وهذا بلا شك فيه دلالة علىٰ فضل الاستغفار وفضل المداومة عليه حتىٰ يكون سببا في الرزق، ولذلك يُروىٰ عن رسولنا الكريم -صلىٰ الله عليه وسلم- أنه قال: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق

مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب"[1]، فقوله -صلىٰ الله عليه وسلم-: "من لزم" فيه دلالة علىٰ طول المداومة وكثرة الملازمة.

ويأتي الإيقاع القرآني في آيات تعداد النعم، مصحوبا بالمد الواجب المتصل في: "ٱلسَّمَآءَ"، وكثير من الغنات الماثلة في: ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَاراً - مِّدْرَاراً ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم - وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ- بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ- جَنَّٰتٍ - جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾، وهذا المد مع تتابع الغنات يبطئان الإيقاع، ويزيد من هذا التباطؤ الإيقاعي في رواية (ورش) مد صلة ميم الجمع مدا مطولا في قوله تعالىٰ: ﴿لَّكُمُوٓ أَنْهَٰراً ﴿١٢﴾﴾، وفي ذلك دلالة علىٰ دوام النعم الكائنة من دوام الاستغفار، فالله هو الذي وعد بالنعم للمداومين علىٰ استغفاره، ومن ثَم لا مخافة من زوالها. ومثل ما قيل في كلمتي ﴿وِقَاراً﴾ و﴿إِسْرَاراً﴾ يقال أيضا في كلمة ﴿مِّدْرَاراً﴾، فتكرار الراء فيها مع الألف فيه دلالة علىٰ تتابع النعم ودوامها.

تنتقل الاستدلالات الحجاجية التي يسردها سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلىٰ تذكيرهم بنعم الله التي مَنّ عليهم بها؛ ليقيم الحجة علىٰ فساد عقائدهم، فالله الخالق الرزاق أولىٰ بالعبادة من تلكم الأوثان التي لا تضر ولا تنفع، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴿١٤﴾ *أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقاً ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً﴾

ولو تأمل المتلقي إيقاع هذه الآيات في رواية (ورش) لوجد المخالفة في ثلاثة مواضع، الأول منها: مد ميم الصلة مدا مطولا في قوله -تعالىٰ-: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمُوٓ

(١) رواه أبو داود عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، انظر (سنن أبي داود، أبو داود الأزدي السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العلمية، دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، جـ٢، صـ٦٢٨، رقم الحديث: ١٥١٨)، وذكر المحقق أنه ضعيف.

أَطْوَاراً﴾، وهذا الإشباع في المد يجعل الإيقاع متناسبا مع المعنىٰ، فأطوار الخلق متعددة ومتباينة، وكل طور منها موضع للتأمل وموطن للتدبر، يستشعر اللبيب فيه قدرة ربه ويدرك عظيم نعمته وفضله، فيكون أحرص علىٰ الشكر والإيمان، وقد فصل الله هذه الأطوار -وهي سبعة أطوار- في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٢-١٤].

أما الموضع الثاني الذي ينفرد به (ورش)، فينشأ عند وصل الآيتين: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴿١٤﴾ *أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً﴾ ببعضهما، إذ إن كلمتي: ﴿أَطْوَاراً ﴿١٤﴾ *أَلَمْ﴾ تمتزجان ببعضهما من خلال التسهيل بالنقل؛ فتحذف همزة ﴿أَلَمْ﴾ وتنقل حركتها إلىٰ نون التنوين في ﴿أَطْوَاراً﴾ ، فيقرآن هكذا: (أَطْوَارَنَلَمْ..)، وفيه إشارة إلىٰ سرعة الالتفات إلىٰ النعم التي أوجدها الله في الكون لأجل الإنسان، فحين ذكر سيدنا (نوح) -عليه السلام- لهم نعم الله عليهم في خلقهم سارع بتذكيرهم بالنعم الكونية التي أوجدها الله لأجل بقائهم، والربط بين خلق البشر وخلق السموات والأرض كثير في القرآن منه قوله -تعالىٰ- بعد أن عدد أطوار الخلق في سورة المؤمنون:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٧]، وقبل أن يذكر الله آيات استخلاف سيدنا آدم -عليه السلام- في الأرض في أول القرآن في سورة (البقرة) ذكر قبلها مباشرة آية خلق السموات والأرض فقال -جل شأنه-:﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ

عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ [سورة البقرة:٢٨-٢٩]. فالله قبل خلق سيدنا (آدم) -عليه السلام- جعل له أسباب البقاء في الأرض والسماء.

أما الموضع الثالث الذي ينماز منه (ورش) فهو ترقيق الراء في قوله تعالىٰ: ﴿سِرَاجاً﴾؛ إذ المقام مقام تذكير بالنعمة، والسراج إناء يضاء فيه النار، ومن صفته الإنارة والدفء والإحراق، وكذلك الشمس، والمعنىٰ الذي يريده سيدنا (نوح) -عليه السلام- هو تذكيرهم بنعمتي الإضاءة والدفء فيها، ومن ثم يبرز الإيقاع النغمي لرواية (ورش) هاتين الصفتين من خلال ترقيق الراء في ﴿سِرَاجاً﴾.

وهذا ما يؤكده السعدي؛ إذ يقول: ["﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ لأهل الأرض "﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً﴾، ففيه تنبيه علىٰ عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة علىٰ رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجىٰ...][(١)].

وبعد أن ذكرهم سيدنا (نوح) -عليه السلام- بقدرة الله التي يشهدونها في خلقهم وفي ذرياتهم ذكرهم بقدرته علىٰ إنشائهم من الأرض أول مرة في خلق أبيهم (آدم) -عليه السلام- منها، وهم يعودون إليها فردا بعد فرد وجسدا بعد جسد، فتبلىٰ أجسامهم وتتحول ترابا، وهذا يستلزم الإيمان بقدرته علىٰ إخراجهم منها مرة أخرىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ﴿١٨﴾﴾

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، صـ١٠٤٩.

إن القوم لم يشهدوا خلق أبيهم (آدم) -عليه السلام-، ولما كانوا كذلك ولم يشهدوا أيضا بعثهم احتاج سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلىٰ توكيد الفعلين بالمفعول المطلق لكل فعل، ولكن ثمت خلاف في تأكيد الفعلين، فالفعل ﴿أَنۢبَتَكُم﴾الذي استعير للإنشاء، أكد باسم المصدر ﴿نَبَاتاً﴾أما الفعل ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ﴾فقد أكد بالمصدر ﴿إِخۡرَاجاً ١٨﴾.

واسم المصدر أقل في المبنىٰ من المصدر، ومن ثَم فهو أقل في معنىٰ التوكيد منه، كما أنه يعطي تسارعا في الإيقاع من خلال استبدال النون المفتوحة بالمقطع (إِنْ) خلافا للمصدر الذي يستبقي الهمزة المكسورة مع إسكان ما بعدها فيضفي علىٰ النغم الإيقاعي تباطؤا يتناسب مع قوة التوكيد فيه.

ومن جماليات الإيقاع الورشي في الآيتين أنه يزداد سرعة في الآية الأولىٰ من خلال التسهيل في كلمة ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾"، ويزداد بطئا في الآية الثانية من خلال إشباع مد الصلة في ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجاً ١٨﴾

ويرجع سر قوة التوكيد في الآية الثانية عن الآية الأولىٰ هنا في كونهم لا ينكرون خروجهم من صلب رجل خُلِق من الطين، وإن كانوا كفروا بالغاية التي من أجلها خُلِق، وهي توحيد الله وحسن عبادته، أما البعث فهو أول أبواب الإنكار عند معظم الكفار، ولذلك احتاج إلىٰ قوة التوكيد.

وثمت شيء آخر في الإيقاع النغمي لرواية (ورش) في الآية الثانية في كلمة ﴿إِخۡرَاجاً﴾،إذ ترقق الراء، وقد يقول قائل: إن ترقيق الراء هنا يتنافىٰ مع قوة التوكيد ويتعارض مع هول النشر وفزعه الذي يصوره القرآن في قوله -تعالىٰ-: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٩﴾ [سورة النمل:٨٩].

والجواب أن قراءة الجمهور بتفخيم الراء تصور هول النشر ووقعه علىٰ العباد، أما قراءة الترقيق لـ(ورش) فتراعي أن المقام هنا مقام تذكير بنعم الله واستدلال علىٰ قدرته، فإذا كان خروج الناس من الأجداث أمرا مهولا عظيما علىٰ الخلائق، فإنه يسير علىٰ الخالق القدير الذي لا يعجزه شيء، ومن ثم ترقيق الراء هنا يدل علىٰ أن إخراج جميع الخلائق في وقت واحد، ومحاسبتهم جميعا في وقت واحد لمما يسهل علىٰ الله القوي القدير، فالأمر كما قال ربنا -عز وجل-: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [سورة لقمان:٢٧]، وكما قال: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة ق:٤٤]؛ ولذلك وصف نفسه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩، المائدة: ٤، إبراهيم: ٥١، غافر: ١٧].

وبذلك تكون الرواية قد صورت هول الحساب ووقعه علىٰ العباد من خلال مد الصلة، ثم صورت سهولة النشر والحشر علىٰ الله القوي من خلال ترقيق الراء.

وأخيرا يختتم المشهد الحجاجي بقوله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

وتلك والله من أجل مراتب الإنعام علىٰ جميع الأنام؛ إذ جعل الله -تبارك وتعالىٰ- لهم الأرض مبسوطة ذلولا، يمشون في مناكبها وطرقها بيسر وسهولة كالنائم الذي يتقلب علىٰ البساط.

والمتأمل لرواية (ورش) يجد إيقاعها يتناغم مع هذا المعنىٰ؛ فبسط الأرض وتذليل طرقها يترتب عنه سهولة التنقل فيها وسرعة التحرك عليها، وهذا ما يؤكده التسارع الإيقاعي الورشي الماثل في كلمة ﴿ٱلْأَرْضَ﴾

ومن اللطائف البلاغية تقديم (لكم) علىٰ عامله، يقول أبو السعود: "...وتوسيطُ (لكُم) بينَ الجعلِ ومفعوليهِ مع أنَّ حقَّهُ التأخيرُ لما مرَّ مراراً من الاهتمامِ ببيانِ كونِ المجعولِ من منافعِهم والتشويقِ إلىٰ المؤخرِ فإنَّ النفسَ عند تأخيرِ ما حقُّه التقديمُ لا

سيَّما عند كونِ المقدمِ ملوِّحًا بكونِهِ من المنافعِ تبقَىٰ مترقبةً له فيتمكن عندَ ورودِه لها فضلُ تمكنٍ."[1].

وينتهي هذا المشهد أيضا كما انتهىٰ الفصل الثاني من الحكاية، فبعد حوار طويل مكثف من سيدنا (نوح) -عليه السلام- لم يجيبوه، وهذا يؤكد عظم إعراضهم عنه وشدة معاناته بدعائهم، التي يصورها المشهد التالي.

**المشهد الثالث:**

**شكوى سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلى ربه ضلال قومه وإضلالهم.**

ينتقل نبي الله (نوح) -عليه السلام- في مناجاته ربه بعد ذلك إلىٰ المشهد الثالث الذي يمثله قول الله -تعالىٰ-: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلاَّ خَسَاراً ۝ وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً ۝ وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً ۝ وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ۝ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلاَّ ضَلَٰلاً ۝﴾

**المعنى العام للآيات**

يشكو نبي الله (نوح) -عليه السلام- في هذه الآيات تعنت قومه وإصرارهم علىٰ الكفر والباطل، علىٰ الرغم من جهده الدعوي في الليل والنهار، وبالإعلان والإسرار، وبالترغيب في الدنيا والترغيب في الآخرة، والآيات تجسد طبقتي الكافرين في كل عصر وفي كل أمة، وهما: طبقة الوجهاء والسادة، وطبقة من دونهم من المستضعفين التابعين، فطبقة الوجهاء هي الطبقة المستكبرة المتعالية التي انفتحت لها الدنيا، فكانت أكثر الطبقتين إصرارا علىٰ التكذيب، أما طبقة المستضعفين فقد اعتاد أكثرهم الامتثال والخضوع والطاعة، ومن ثم سارعت أهواؤهم إلىٰ الاستجابة لعلية أقوامهم؛

---

(١) تفسير أبي السعود المسمىٰ إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ٩، صـ٣٩، ٤٠.

خوفا من بطشهم، وطمعا في عطاياهم، وإرضاء لسلطانهم، ناسين أن العزة والكبرياء والعظمة لله ولمن آمن به.

**بين يدي الآيات**

يُستفتح هذا المشهد بقوله -تعالىٰ-: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلاَّ خَسَاراً﴾ ؛ فالآية تتحدث عن سرعة اتباع طبقة الضعفاء لرؤسائهم، وقد وقع الخلاف في هذه الآية في كلمة واحدة، هي: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾، فقد قرأها الجمهور ومنهم (ورش) بفتح الواو واللام، وقرأها (ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر): ﴿وَوُلْدُهُۥ﴾ بضم الواو وإسكان اللام(١)، والقراءة الأولىٰ تتناسب مع سرعة الإيقاع الممتد من أول الآية حتىٰ هذه الكلمة، فالإدغامات معظمها كاملة ليس بها غنة. كما في: ﴿نُوحٌ رَّبِّ - مَن لَّمْ﴾ والميمات مظهرة لا يوقف عليها بغنة كما في: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ﴾، وياء المتكلم من كلمة: "رَبِّ" محذوفة، وهذا التسارع الإيقاعي يتناسب مع سرعة اتباعهم لرؤسائهم وكبرائهم، أما القراءة الثانية فتتناسب مع بطء الإيقاع الساري في آخر مقطع في الآية من خلال المد المنفصل بين كلمتي: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ إِلاَّ﴾ والمدود الثلاث الطبيعية في كلمتي: ﴿إِلاَّ خَسَاراً﴾، وهذا التباطؤ الإيقاعي مناسب لاستغراقهم في الخسران وطول مكوثهم فيه، ومناسب كذلك لقوة إصرار الكبراء والرؤساء علىٰ التكذيب، وكلا الإيقاعين يدلان علىٰ مسارعتهم في الاتباع، حتىٰ استقر بهم المقام في الخسران.

ثم يصف نبي الله (نوح) -عليه السلام- مكر هؤلاء الرؤساء المستكبرين بالضعفاء بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً﴾؛ فالمكر كان من الرؤساء، يقول ابن

(١) البدور الزاهرة صـ٤١٥.

كثير: [والمعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً﴾، أي: باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم علىٰ الحق والهدىٰ كما يقولون لهم يوم القيامة: بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا » ولهذا قال هنا: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً ۞ وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً ۞ وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[1]، وقد صور الله المكر من خلال الوصف فأكده بالمصدر ووصف المصدر بصيغة لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضع، وهي صيغة تحمل أقصىٰ درجات المبالغة، لتؤكد علىٰ عظم هذا المكر، فجاءت كلمة: ﴿كُبَّاراً﴾ بمديها الطبيعيين مع تشديد بائها وهو حرف صفته الشدة، وضم كافها وهو حرف شديد أيضا لترسم مع غنة نون التنوين حين تُخفىٰ في كافها عظم حجم هذا المكر، وثمت تقارب صوتي بين الكلمات: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً ۞﴾، إذ تكرر فيها حرف (الكاف) الشديد، وحرف (الراء) الذي من صفته التكرار؛ ليؤكد الإيقاع الصوتي لهذه الكلمات علىٰ شدة المكر وإلحاحه، ويصور هذا المكر الحوار المكثف الذي يبدأ بقولهم: ﴿وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً ۞ وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[2].

أي: ["وَقَالُواْ" أي: الرؤساء لسفلتهم ﴿لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ علىٰ العموم أي: عبادتها ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً﴾ بفتح الواو وضمها، وهو قراءة (نافع) لغتان صنم علىٰ صورة رجل، ﴿ وَلاَ سُوَاعاً﴾ هو علىٰ صورة امرأة، ﴿وَلاَ يَغُوثَ﴾ هو علىٰ صورة أسد، ﴿وَيَعُوقَ﴾ علىٰ صورة فرس، وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا

(١) تفسير ابن كثير، جـ٨ صـ٢٣٤.

(٢) انفرد العد الكوفي برواية هاتين الآيتين آية واحدة، ورواها الباقون آيتين علىٰ هذا النحو، [البيان في عد آي القرآن، صـ٢٥٤].

عربيين وللتعريف والعجمة إن كانا أعجمين، ﴿وَنَسْرًا﴾هو علىٰ صورة نسر، أي: هذه الأصنام الخمسة علىٰ الخصوص، وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم، وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلىٰ العرب، فكان ود لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث لمَذْحِج، ويعوق لمُراد، ونسر لحمير، وقيل: هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح، فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعىٰ لهم إلىٰ العبادة، فلما طال الزمان قال لهم إبليس: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم][1].

ملحوظة: قد تكون هذه الأصنام الخمسة من أصنام العرب في الجاهلية، وقد وردت هنا علىٰ سبيل التعريض بكفار قريش ومَن وراءهم، والتلويح لهم بمثل ما صار لسابقيهم من العقاب في الدارين.

وتعد هاتان الآيتان أول رد قولي من قوم نوح علىٰ حوارات نبيهم المتنوعة، وندرك من خلالها أن إجابة الرؤساء من قوم نوح -عليه السلام- كانت أولا، فرفضوا الحق وأصروا علىٰ المكوث علىٰ عباداتهم الباطلة، وحملوا الناس جميعا عليها، ونجد هذا واضحا من خلال نفي الضد؛ فالمستكبرون لم يقولوا للضعفاء: (امكثوا علىٰ آلهتكم واثبتوا علىٰ ود...)، ولكن قالوا "﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ...﴾، فأكدوا بنفي الضد، وبنون التوكيد الثقيلة، ثم زادوا التوكيد بتكرار "وَلَا تَذَرُنَّ" وبتفصيل المجمل من آلهتهم مع تكرار "لَا"، وهذا الإصرار علىٰ الحالة التي هم عليها يستلزم الاستبطاء النغمي، وهو واضح بين من خلال تكرار "لا" أربع مرات، وتكرار غنة النون في "تَذَرُنَّ" مرتين، ومن خلال الغنن الكائنة في﴿وُدًّا وَلَا - سُوَاعًا وَلَا﴾، ولكن القارئ للآيتين يجد الإيقاع يتسارع فجأة عند الانتقال إلىٰ الآية

(١) تفسير النسفي، جـ٣، صـ٥٤٥.

الثانية أي: في قوله -تعالىٰ-: ﴿وَلَآ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، وهذا ما سنحاول معرفته فيما بعد.

وحينما يعود المتلقي إلىٰ الآية الأولىٰ التي يتناغم فيها الإيقاع القرآني مع المعنىٰ، نجد رواية (ورش) تزيد الآية تناغما من خلال استبطاء الإيقاع الكائن في مد البدل ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾، كذلك نجد نافعا (قالون، ورش) وأبا جعفر ينفردان عن باقي القراء بضم واو "وُدًّا"[1]، وعند نطق القارئ الحرف المضموم يضم شفتيه ويبرزهما فيرتسم عليهما معاني الاحتواء العاطفي والاتصال القلبي؛ لذلك جاءت بعض الكلمات المشتملة علىٰ تلك المعاني مضمومة أولها مدغم ثانيها في ثالثها علىٰ شاكلة لغة "وُدّ"، ومن هذه الكلمات: (أُمّ، حُبّ، وُدّ بمعنىٰ حُبّ).

أما عن التسارع الإيقاعي في الآية الثانية في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، فله مدلول في التفسير، فهذه هي الآية التي تمت الإشارة إليها من قبل في أنها حادت عن إيقاع فواصل باقي آيات مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام- ربه، فحذف الألف قبل الأخير منها فزادت سرعة الإيقاع، وأرىٰ أن التسارع الإيقاعي هنا يرجع إلىٰ كون هذه الآلهة الثلاثة ليست علىٰ قدر من الأهمية كما للإلهين الأولين، فقد ذكر النسفي في تفسيره -كما تبين من قبل- كون الأَوَّلَيْنِ لمجسمين من الإنس: رجل وامرأة، وكون الباقِينَ لمجسمات حيوانية، وعليه يكون هذا التباين في الأهمية سرا من أسرار فصل (ورش) وغيره الآية إلىٰ آيتين؛ فهذا الفصل مع تباين الإيقاع بين الآيتين وافتقاد التوكيد في باقي الآلهة في الآية الثانية يرجح ما ذهبنا إليه من تباين منزلة الآلهة عند قوم نوح -عليه السلام-.

(١) البدور الزاهرة، صـ٤١٥.

وعود علىٰ بدء يختتم هذا المشهد بالمعنىٰ الذي بدأ به، ليؤكد سرعة إضلال الرؤساء للضعفاء، في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾

فالجملة الأولىٰ جاءت مؤكدة بـ(قد)، وبعد مفعولها إيجاز بالحذف، أي: وقد أضلوا كثيرا من الخلق؛ لتؤكد علىٰ سرعة وقوع كلتيهما في الإضلال والضلال والتكذيب، وسهولة استجابتهم للهوىٰ في انغماسهم في الكفر والجحود، فالملأ الرؤساء سارعوا أولا بالتكذيب، كما حكىٰ القرآن في كثير من المواضع، كان أولها: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝ قَالَ ٱلۡمَلَأٞ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝﴾ [سورة الأعراف:٥٨-٥٩]، ثم أمروا أتباعهم من المستضعفين، فسارعوا باتباعهم، ولذلك جاء الإيقاع في الآية متسارعا رقيقا من خلال التسهيل بالنقل في ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾ ومن خلال ترقيق الراء في "كَثِيرًا"، والجملة الثانية هي: جملة دعائية علىٰ لسان سيدنا (نوح) -عليه السلام-؛ ليزدادوا ضلالا علىٰ ضلال، والجملة -كما ذكر الزمخشري- معطوفة علىٰ جملة﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾"(١)، فهو دعاء مشاكل لحالهم، أي: فهم لم يزدادوا بمالهم وولدهم إلا ضلالا وخسرانا فزدهم يارب ومن تبعهم ضلالا فوق ضلالهم.

ومن خلال ما سبق يمكن ملاحظة هذه الثنائية الضدية التي ترسمها أحداث القصة، فكما كان من سيدنا (نوح) -عليه السلام- قوة الثبات علىٰ الحق والصدع به، كان من رؤساء قومه قوة الإصرار علىٰ الباطل وحمل الناس عليه، وكما كان أيضا من

(١) الكشاف للزمخشري، صـ٢١٨.

سيدنا (نوح) -عليه السلام- سرعة الامتثال لأوامر ربه كان من ضعفاء قومه سرعة الامتثال لأوامر أسيادهم.

وهذا الصراع الحواري بين سيدنا (نوح) -عليه السلام- وضعفاء قومه من جهة، وبين الرؤساء والضعفاء من جهة أخرىٰ، انتهىٰ بغلبة الرؤساء، كما يلحظ فيه غياب الصوت الحواري للمستضعفين، فهم لم يجيبوا نبيهم، وسارعوا باتباع ساداتهم من دون تردد أو تفكير، وفي هذا دلالة علىٰ شدة سيطرة الرؤساء عليهم، وقوة مكرهم بهم؛ لذا جاءت الآيات مشتملة علىٰ التقديم الزمني والتأخير في سرد الأحداث، وهو ما يعرف بتقنية (الاسترجاع القصصي)، فإجابة الضعفاء لأمر الرؤساء قدمه الله في سرد الحكاية، مع أنه متأخر عنه في الأصل، ثم عاد فكرره في موضعه بعد أمر الرؤساء، وفي ذلك لطيفة بلاغية؛ إذ إن الضعفاء أعظم الطائفتين تضررا بالكفر، الذي يترتب عنه الظلم الطبقي الشائع في كل أمة ظالمة، ولذلك هم أرجىٰ الناس دخولا في الإيمان؛ إذ يحقق لهم الإيمان المساواة التي حرموها، فيحظون به سعادة الدنيا والآخرة، كما وعدهم نبي الله (نوح) -عليه السلام- في الآيات السابقة، في حين أن الرؤساء والوجهاء أكثر الطبقتين استفادة من الكفر والظلم الطبقي؛ فيمكرون بالضعفاء ويغرونهم ويخدعونهم، ومن ثم تكون طبقة المستضعفين أشد الناس خسارة في الدنيا، وأعظمهم حسرة يوم القيامة، ولذلك تراهم أكثر الناس صراخا وعتابا حينما يختصم الفريقان يوم القيامة، وهذا ما صوره القرآن في عدة مواطن منها، قوله -تعالىٰ-: ﴿... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟

ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة سبأ:٣١-٣٣] ؛ فالضعفاء أول من افتتحوا المخاصمة باللوم والعتاب وآخر من ختموها بالندم والبكاء.

**المشهد الرابع:**

**استحقاق الكافرين عقاب الله في الدنيا والآخرة.**

هذا المشهد يتمثل في آيتين في العد المدني الأول[1] الذي عليه (ورش)، هما: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾

**المعنى العام للآيتين**

تبين الآيتين مصير قوم نوح بسبب خطيئاتهم واستكبارهم إغراقا في الدنيا وإحراقا بالنار في الآخرة

**بين يدي الآيتين**

تحمل هاتان الآيتان تعقيبا من الله -عز وجل- ببيان مصير قوم نوح الذي كان بيده -سبحانه وتعالىٰ-، ولذلك تولىٰ رواية هذا المصير، فإن الآيات لما بينت حال القوم في المشهد السابق علىٰ لسان نبيهم من انقسامهم إلىٰ فئتين، عادت لتبين هنا في هذا المشهد أن هاتين الفئتين -وإن اختلفتا في الطريقة- قد تشابهتا في النتيجة التي سارعتا في الوصول إليها، فكلتاهما سارعتا إلىٰ الضلال، وكلتاهما أصرتا علىٰ الباطل ومكثتا عليه قرونا طويلة؛ فاستحقتا الهلاك في الدنيا والآخرة، وهذا ما يلمسه المتلقي في الإيقاع النغمي للآيتين الكريمتين علىٰ طريقة العد المدني: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾

(١) انفرد بذلك العد المدني الأول والعد المكي. [البيان ن في عد آي القرآن، صـ٢٥٤].

فمقدمة الآية الأولىٰ في هذا المشهد تتطابق نغميا في قراءتها برواية (ورش) مع طول انغماسهم في معاصي الكفر وذنوب الكبر من خلال اجتماع ثلاثة مدود متتالية انمازت بها رواية (ورش) عن باقي الروايات، وهذه المدود جاءت في كلمة واحدة "خَطِيٓـَٔتِهِمُوٓ"؛ لتعبر عن عظم تلك الذنوب وطول بقائهم عليها، كأنهم بالفعل غارقون في بحرها اللجيّ غرقا مميتا مهلكا، والمدود الثلاثة علىٰ الترتيب هي: المد المتصل في الياء ،ومد البدل في الهمزة، ومد صلة ميم الجمع؛ إذ تلتقي بهمزة (أغرقوا).

ويعضد هذا المعنىٰ تقديم ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمُوٓ﴾"؛ "لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان، فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم، كما يتأكد هذا المعنىٰ أيضا بزيادة "ما"..."[1]، فـ(من) تفيد معنىٰ السببية، و(ما) زيدت لتوكيدها، فينشأ من اجتماعهما إدغام بغنة مقدارها حركتان تزيد مع المد الطبيعي من تباطؤ الإيقاع، وقد جاءت كلمتا: "نَارًا، أَنصَارًا" نكرتين؛ لإفادة العموم، فتدل الأولىٰ علىٰ التعظيم والتهويل؛ إذ جاءت في جملة مثبتة، أي: يدخلون نارا عظيمة، وتدل الثانية علىٰ القلة والتهكم؛ إذ جاءت بعد نفي، أي: لا يجدون أي نصير محتمل، فما أغنت عنهم آلهتم.

ويزيد من جمالية تصوير العقاب الطباق الجامع بين الضدين (الإغراق بالماء، والإحراق بالنار)؛ لإبراز سوء المصير وتوكيده، فبعد غرقهم الطويل في المعاصي والخطايا، وإمهال الله لهم زمنا طويلا أغرقهم الله بالطوفان في الدنيا، وبعده مباشرة أغرقهم بالنار في الآخرة، ودل علىٰ ذلك فاء السرعة، فالخطايا قادت في الدنيا إلىٰ الإغراق، والإغراق ساق في الآخرة إلىٰ الإحراق، والإحراق استنطقهم بالإغاثة، لا

(١) الكشاف للزمخشري، جـ٦، صـ٢١٩.

سيما التابعين المستضعفين، ولكن من يجيب؟! يجيبهم ربهم: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [سورة المؤمنون:١٠٩].

**ملحوظة**: انفرد (أبو عمرو) هنا بقراءة:﴿مِّمَّا خَطَايَاهُمۡ﴾ [سورة نوح:٢٧]، والباقون: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمۡ﴾"[1]، وقراءة أبي عمرو تنسجم نغميا مع فواصل معظم الآيات التي ينتهي معظمها بألفين قبلهما حرفا مد، فـ(خطايا) تتقارب نغميا مع: (فرارا، وقارا، طباقا، ...)، وهذه الألفات المتكررة تؤكد عناء سيدنا (نوح) –عليه السلام–.

ويلحظ أن العد المدني الذي عليه (ورش) يخالف العد الكوفي لـ(حفص)؛ إذ جعل هذه الآية آيتين، الأولى:﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾، والثانية: ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾"؛ زيادة في الفصل بين النصير والمصير.

وهكذا ينتهي المشهد بهذا المصير الذي كان استجابة لدعوة نبي الله (نوح) –عليه السلام–، وهذا المشهد استباق زمني لنتيجة الدعاء الذي يأتي في المشهد الختامي التالي، والاستباق أن يقفز الراوي بالزمن إلى أحداث لم تقع بعد في زمن القصة ليتعرف عليها القارئ قبل أوان حدوثها الطبعي[2]، وهذا الاستباق ينقسم إلى قسمين: الاستباق كتمهيد، والاستباق كإعلان.

. **أما الأول**: فيأتي تمهيداً لما سوف يأتي، ويتمثل في أحداث أو إشارات أو إيحاءات أولية، يكشف عنها الراوي ليمهد لحدث سيأتي لاحقًا، وبالتالي يعد الحدث أو الإشارة الأولية بمثابة استباق تمهيدي للحدث الآتي في السرد[3].

---

(١) البدور الزاهرة صـ٤١٥.

(٢) بنية النص السردي صـ٧٤.

(٣) الزمن في الرواية العربية ، مها حسن القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤صـ٢١٣.

**وأما الثاني**: ففيه يستحضر السارد المستقبل ليعبر من خلاله صراحة عما سيأتي لاحقًا في الحدث، حيث يقوم الاستشراف بوظيفة إعلان عندما يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق(١)، وإذا كان الاستباق التمهيدي يمهد للحدث اللاحق بطريقة ضمنية، فإن الاستباق الإعلاني يخبر صراحة في أحداث أو إشارات أو إيحاءات بما سوف يحدث(٢)، وفي هذا النوع يستبق السارد الأحداث ليخبر بما سوف يترتب علىٰ الأحداث الآنية فيكون ذلك بمثابة إعلان للمسرود له بما سيقع بعد(٣)، وهذا النوع من الاستباق هو الذي نجده في الآيتين الكريمتين.

وهذا التقديم يدل علىٰ مدىٰ ظلم قوم نوح -عليه السلام-، وطغيانهم وعظم خطيئاتهم، التي استحقوا بسببها هذا العقاب قبل أن يدعو عليهم نبيهم.

يقول أبو السعود: "وقولُهُ -تعالَىٰ-: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ﴾ الخ اعتراضٌ وسطٌ بين دعائِهِ -عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ-؛ للإيذانِ من أولِ الأمرِ بأنَّ ما أصابَهُم من الإغراقِ والإحراقِ لم يُصبهُم إلا لأجلِ خطيئاتِهِم التي عددَهَا (نوحٌ) -عليهِ السَّلامُ-، وأشارَ إلىٰ استحقاقِهِم للإهلاكِ لأجلِها، لا أنَّها حكايةٌ لنفسِ الإغراقِ والإحراقِ علىٰ طريقةِ حكايةُ ما جَرىٰ بينَهُ -عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ- وبينُهُم من الأحوالِ والأقوالِ..."(٤)

وهكذا يتبين أن إجابة الدعاء علىٰ الكافرين هنا لم يكن كالآيات الأخرىٰ في أن مصيرهم الغرق فقط، بل أعقبه ربنا -تعالىٰ ذكره- بالدخول إلىٰ النار من خلال فاء

---

(١) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١٩٩٠،١م، صـ١٣٧.

(٢) الزمن في الرواية العربية، صـ٢١٥.

(٣) البنية السردية في شعر شوقي للأطفال، رسالة (ماجستير) للباحث/ عبد الله محمد أديب القاوقجي، إشراف: أ.د/ محمد كاظم حسن الظواهري، وأ.د/ محمد سلامة صالح سلامة، كلية اللغة العربية بالمنوفية (قسم الأدب والنقد)، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م، صـ٤٢.

(٤) تفسير أبي السعود، جـ٩، صـ٤١.

العطف التي تدل علىٰ السرعة، فجمع الله هنا لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وقدم الإجابة علىٰ الدعاء خلافا لباقي المواضع.

يقول السعدي: "ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، فقال: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ ﴾ في اليم الذي أحاط بهم ﴿ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئاتهم..."(١)

**المشهد الخامس:**

**دعاء سيدنا (نوح) -عليه السلام- على قومه، وللمؤمنين.**

يختتم سيدنا (نوح) -عليه السلام- هذا الفصل بقوله -تعالىٰ-: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ۝٢٨﴾

**المعنى العام للآيات**

في هذه الآيات يدعو سيدنا (نوح) -عليه السلام- علىٰ قومه مبينا سبب ذلك في أن بقاءهم إضلال للمؤمنين وزيادة في إنجابهم أجيالا أشد كفرا، ثم دعا لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات، ثم ختم السورة بتكرار الدعاء علىٰ الكافرين.

**بين يدي الآيات**

يبدأ الدعاء بقول الله -تعالىٰ-: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾

واختلف أهل التفسير في زمن دعائه عليهم، والراجح -كما ذكرت في التمهيد أنه كان بعد أن بلغه الله بعدم إيمان بقية قومه، وممن ذهب إلىٰ ذلك الشيخ (الشنقيطي) في قوله: "في هذا نص علىٰ أن نبي الله نوحا طلب من الله إهلاك من علىٰ الأرض جميعا، مع أن عادة الرسل الصبر علىٰ أممهم، وفيه إخبار نبي الله نوح عمن سيولد من بعد، وأنهم لن يلدوا إلا فاجرا كفارا، فكيف دعا علىٰ قومه هذا الدعاء، وكيف حكم علىٰ

(١) تفسير السعدي، صـ١٠٥٠.

المواليد فيما بعد؟ والقرآن الكريم بين هذين الأمرين: أما الأول: فإنه لم يدع عليهم هذا الدعاء إلا بعد أن تحدوه ويئس منهم، أما تحديهم ففي قولهم: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾ [سورة هود:٣٢]. وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠﴾ [سورة القمر:٩-١٠].

وأما يأسه منهم؛ فلقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [سورة هود:٣٦].

وأما إخباره عمن سيولد: بأنه لن يولد لهم إلا فاجر كفار، فهو من مفهوم الآية المذكورة آنفا؛ لأنه إذا لم يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فسواء في الحاضر أو المستقبل. وكذلك بدليل الاستقراء، وهو دليل معتبر شرعا وعقلا، وهو أنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وما آمن معه إلا قليل، كانوا هم ومن معهم غيرهم حمل سفينة فقط، فكان دليلا على قومه أنهم فتنوا بالمال ولم يؤمنوا له...".(١)

ومن لطائف دعائه مشاكلته لإصرارهم على الكفر، فقد بدأه بقوله: ﴿لَا تَذَرْ﴾، أي: لا تتركهم باقين، وهم قد قالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ ...﴾ أي: لا تتركوا عبادة آلهتكم...، إلا إنه لم يؤكد بالنون الثقيلة، وذلك لأنه طلب (دعاء) من الأدنى (نوح -عليه السلام-) للأعلى (الله -جل جلاله-)، فلا مجال للتوكيد، أما قومه فكفرهم قد بلغ المدى من العناد والإصرار، فكان خطابهم أمرا صريحا من الملأ لأتباعهم من السفهاء، فأكدوه، وبالغوا في تأكيده، كما أن ترك النون هنا يسرع من الإيقاع؛ ليحاكي تعجُّل سيدنا نوح -عليه السلام- زوال الظالمين الجبارين، فالإيقاع

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ت: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ، جـ٧، صـ٥٣٤، ٥٣٥.

القرآني في الآية سريع، إذ تغيب عنها الغنن والمدود المطولة أو المتوسطة، ويزيد (ورش) في سرعة الإيقاع من خلال التسهيل بالنقل في: ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾، كما قلَّل كاف ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في كل القرآن، وكذلك أمالها كل من (أبي عمرو البصري، والدوري عن الكسائي، ورويس عن يعقوب الحضرمي)، وفي ذلك إشارة إلىٰ انحراف عقائدهم واضطرابها.

وقد تقدم أن إطالة سيدنا (نوح) -عليه السلام- في مناجاة ربه يلمس فيها المتلقي اعتذارا لدعائه عليهم، وهذا المعنىٰ يؤكده تعليله الكائن في قول الله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾

فهذا تعليل يستشعر فيه المتلقي مدىٰ رحمة سيدنا (نوح) -عليه السلام-؛ إذ كان دعاؤه علىٰ الكافرين بالهلاك سببه الأول مخافته علىٰ فتنة المؤمنين بهم خاصة بعد أن جاءه الوحىٰ الإلهي بأنه لن يؤمن من قومه أحد بعد الآن إلا من قد آمن من قبل، كذلك تتجلىٰ رحمته في سببه الثاني، الذي فيه يخاف علىٰ ذرياتهم القادمة من الكفر والفجور إن ظلوا أحياء يتكاثرون.

والفاجر في الأصل يطلق علىٰ كل من مال عن الحق، سواء أكان ميله بالفسق، أم كان بأكبر من ذلك كالكفر.

ويلحظ أن وصفهم بالفجر جاء أولا بصيغة اسم الفاعل، ثم جاء نعتهم بالكفر ثانيا بصيغة المبالغة، وهذا ما يرجح أن مراد سيدنا (نوح) -عليه السلام- أنهم يتدرجون منذ ولادتهم في مراحل الفجور حتىٰ يبلغوا منتهاها، وهي مرحلة المبالغة في الكفر، ومن ثم ترقيق الراء يتناسب مع بدء مراحل الفجر الحاصلة لهم بعد ولادتهم حين شرعوا في مفارقة فطرة الطفولة إلىٰ دين آبائهم شيئا فشيئا حتىٰ فاقوهم وصاروا أكثر منهم كفرانا وتكذيبا.

وإذا وصلنا الآيتين السابقتين ببعضهما تمتزج كلمتا: ﴿دَيَّاراً ۝٢٨ إِنَّكَ﴾ من خلال التسهيل بالنقل إذ تحذف همزة ﴿إِنَّكَ﴾ ، وتنقل حركتها إلىٰ نون التنوين في كلمة ﴿دَيَّاراًۢ﴾ ؛ وهذا الانتقال السريع من الدعاء إلىٰ سببيه يدل علىٰ رحمة سيدنا (نوح) -عليه السلام- بقومه ورفقه بهم.

أخيرا يكمل سيدنا (نوح) -عليه السلام- دعاءه، فيقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ۝٢٩﴾

ففي هذه الآية قسم دعاءه شقين: الشق الأول، وفيه يدعو للمؤمنين والمؤمنات، علىٰ سبيل التفصيل، فبدأ من الأخص إلىٰ الأعم، إذ بدأ أولا بوالديه؛ لأنهما أعظم الناس حقا عليه، وقد كانا مؤمنين، ثم خص المؤمنين الذين دخلوا بيته، والمراد بـ﴿بَيْتِيَ﴾، منزلي، وقيل: مسجدي، وقيل: سفينتي..."[1]، والراجح عندي أنه سفينته؛ لأن الله أمره أن يخص بالسكنىٰ فيها كل من آمن من قومه قبيل انفجار الطوفان، ثم بعد ذلك أدخل في جملة دعائه المؤمنين والمؤمنات جميعهم من بدء الخلق إلىٰ قيام الساعة.

ويأتي الشق الثاني ختاما للسورة، ونهاية للحكاية، وفيه أعاد دعاءه علىٰ الظالمين مرة أخرىٰ.

والمتأمل للإيقاع النغمي لرواية (ورش) في هذه الآية يجده يسكن ياء ﴿بَيْتِيَ﴾، وهي قراءة الجمهور، ولم يخالفها إلا (حفص عن عاصم، وهشام عن ابن عامر)، فقراءتهما بفتح الياء، وقراءة (ورش) والجمهور تتناسب مع السكينة والأمان النفسي لمن دخل سفينة سيدنا (نوح) -عليه السلام- آمنا من عذاب الله -تعالىٰ-، وهذا

(١) تفسير الطبري، جـ٢٣، صـ٢٢٠.

السلام النفسي يرسمه من قبل إيقاع غنة النون الساكنة في قوله -تعالىٰ-: ﴿وَلِمَن دَخَلَ ﴾، كما أن (ورشا) أبدل الهمزات الساكنة واواتٍ في الكلمات المتتالية: ﴿مُؤمِناً وَلِلْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤمِنَٰتِ﴾"، وهذه لها دلالة إيقاعية؛ إذ تصور سهولة الدخول للإيمان واطمئنان القلب له وأنس الروح به.

وهكذا يسدل الستار علىٰ هذه النهاية التي ختمت بالدعوات، ولما كان استجابة الله لدعوة (نوح) -عليه السلام- علىٰ قومه معلومة مؤكدة بالآيات، علم من خلال إجابتها أنه استجاب أيضا دعاءه للمؤمنين والمؤمنات.

قال الثعالبي: "وقوله: ﴿وَلِلْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤمِنَٰتِ﴾، تعميم بالدعاء لمؤمني كل أمة، وقال بعض العلماء: إن الذي استجاب لنوح -عليه السلام- فأغرق بدعوته أهل الأرض الكفار لجدير أن يستجيب له فيرحم بدعوته المؤمنين."[1].

*فاللهم اجعلنا في زمرة من دعا لهم نبيك الصابر (نوح) -عليه السلام-.*

**سلام على نوح في العالمين، وصلاة وسلاما على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى إمامهم سيدنا (محمد) الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.**

---

(١) تفسير الثعالبي المسمىٰ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي المالكي، ت: ش/ علي محمد معوض، ش/ عادل أحمد عبد الموجود، أ.د/ عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، جـ٥، صـ٤٩٢.

## الخاتمة

**وختاما**

فإن الإيقاع النغمي للقرآن الكريم برواية (ورش) له أثر واضح في استظهار المعنىٰ، ظهر من خلاله الإعجاز النغمي لتلاوة القرآن الكريم بهذه الرواية؛ إذ تعتمد علىٰ خصائص لها تزيد من سرعة الإيقاع في مواطن، وتزيد من تباطئه في مواطن أخرىٰ، علىٰ وفق ما يقتضيه المعنىٰ.

وهذا ما كان بارزا في تصوير الإيقاع النغمي المتسارع لسرعة التبليغ والإنذار من نبي الله (نوح) -عليه السلام-، ولسرعة التكذيب والإضلال من قومه. كما اتضح أيضا من تصوير الإيقاع النغمي المتباطئ لثبات نبي الله (نوح) -عليه السلام- علىٰ الحق السنين الطويلة، وكذلك مكوث قومه في تلك السنين علىٰ جهالتهم وكفرهم.

**وبناء على ذلك تبرز أهم نتائج الدراسة على النحو التالي:**

**أولا**: توافق الإيقاع القرآني لرواية (ورش) مع المعنىٰ الدلالي والسياقي للآيات وتمثل ذلك فيما يلي:

**١ الظواهر الإيقاعية التي نتج منها استبطاء في الإيقاع .**

يمثل إطالة المد عن القدر الزمني للمد الطبعي أكثر الظواهر الإيقاعية التي تبطئ حركة الإيقاع القرآني وكان أكثر هذه المدود انتشارا في السورة هو المد المنفصل الذي جاء في ثلاثة عشر موضعا، سبعة منهم جاءت نتيجة مد صلة الجمع، وذلك في: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ - لَهُمْ إِسْرَاراً - رَبَّكُمْ إِنَّهُ- لَّكُمْ أَنْهَاراً - خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً - وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً - خَطِيَّاتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾. ثم الستة الباقية هي علىٰ الترتيب:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ - جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ - وَوَلَدُهُۥٓ إِلاَّ خَسَاراً - وَلاَ يَلِدُوٓاْ إِلاَّ فَاجِراً﴾، ثم جاء المد العارض للسكون في السورة في أربعة مواطن، هي نهايات الآيات الأربع الأوائل:﴿أَلِيمٌ - مُّبِينٌ - وَأَطِيعُونِ - تَعْلَمُونَ﴾ ، أما المد المتصل فقد ورد في ثلاثة مواضع فقط هي:

﴿دُعَآءِىَ ، ٱلسَّمَآءَ ، خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ وكذا مد البدل ورد في ثلاثة مواضع هي: ﴿ءَاذَانِهِمْ، ءَالِهَتَكُمْ ، خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ وقد خلت السورة من المد اللازم.

وكثرة هذه المدود ساهمت بشكل واضح في استظهار المعنىٰ؛ فمثلا في قوله -تعالىٰ-: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أبان مد البدل عن قوة استمساكهم بآلهتهم ومكوثهم علىٰ ضلالهم، وكذلك في قوله -تعالىٰ-: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ تضافر المد المتصل مع مد البدل والمد المنفصل الناشئ من صلة ميم الجمع والغنة في الميم المشددة في إظهار عظم خطاياهم وطول استغراقهم فيها، فكانت سببا رئيسا في استحقاقِهِم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

ومن الظواهر الإيقاعية التي ساهمت في تبطئة الإيقاع عند (ورش) تسكينه بعض الياءات التي فتحها غيره، وذلك في موضع واحد فقط في السورة، وافق فيه قراءة الجمهور، هو: (بَيۡتِي)، وإيقاع سكون الياء يتناسب مع السكينة والأمان النفسي لمن دخل سفينة سيدنا (نوح) -عليه السلام- آمنا من عذاب الله -تعالىٰ-.

كذلك كان انتشار الغنن في السورة الكريمة من أبرز الظواهر التي أبطأت من حركة الإيقاع، وكان لها أثرها في إيضاح المعنىٰ، وهذه الظاهرة يشترك فيها (ورش) مع أغلب القراء، كقوله تعالىٰ: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾؛ فتتابع الغنات الماثلة في: ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا - مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم - وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ - بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ- جَنَّٰتٍ - جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل﴾ مع المد الواجب المتصل في:﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ ومد صلة ميم الجمع مدا مطولا في رواية (ورش) في: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ يزيد من تباطؤ الإيقاع، وفي ذلك دلالة علىٰ دوام النعم الكائنة من دوام الاستغفار.

**٢ الظواهر الإيقاعية التي نتج منها سرعة في الإيقاع.**

يعد التسهيل من أبرز الخصائص الإيقاعية عند ( ورش) التي تسرع من حركة الإيقاع، وينقسم قسمين: القسم الأكثر ورودا في السورة هو التسهيل بالنقل: وجاء في أحد عشر موطنا من السورة، هي: ﴿نُوحاً اِلَىٰ- أَنَ اَنذِرْ - عَذَابٌ اَلِيمٌ - نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ اَنُ اُعْبُدُواْ - مُّسَمّيٗ اِنَّ - أَطْوَاراً ۝ *اَلَمْ تَرَوْاْ - اُلَارْضِ مرتان مجرورة ومرة منصوبة- وَقَدَ اَضَلُّواْ - دَيَّاراً ۝ اِنَّكَ﴾.

أما القسم الثاني، فهو التسهيل بالإبدال الخاص بإبدال الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها إذا كانت فاء للكلمة، وقد اشتملت السورة علىٰ أربعة مواطن: ﴿يَّاتِيَهُمْ- مُومِناً -وَلِلْمُومِنِينَ -وَالْمُومِنَٰتِۖ﴾

وقد ساهم التسهيل بصورتيه في إبراز المعنىٰ؛ ففي قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦ أَنَ اَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَّاتِيَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ۝﴾ [سورة نوح: ١]، ورد التسهيل بالنقل في: ﴿نُوحاً اِلَىٰ - أَنَ اَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ ليدل علىٰ سرعة التبليغ والتحرك للإنذار من نبي الله (نوح) -عليه السلام-، وأبان التسهيل بالإبدال في: ﴿يَّاتِيَهُمْ﴾، والتسهيل بالنقل في: ﴿عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ عن سرعة وقوع العذاب الأليم بهم إذا حان.

ومن الظواهر الإيقاعية فتح ياء المتكلم الواقعة قبل همزة قطع، وذلك في موضعين من السورة: ﴿دُعَآءِيَ إِلاَّ ، إِنِّيَ أَعْلَنتُ﴾، ففي قوله -تعالىٰ-: ﴿دُعَآءِيَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ يتسارع الإيقاع من خلال فتح ياء المتكلم ومن ثم يتجاوز القارئ المد المنفصل، وكان لذلك دلالة واضحة في استظهار سرعة فرار قوم نوح من دعائه وإعراضهم عنه من دون استكماله.

**٣ الظواهر الإيقاعية التي نتج منها رقة في الإيقاع.**

كانت لـ (ورش) التفرد في ترقيق الراء في كثير من المواضع؛ فانفرد في سبع كلمات من السورة هي علىٰ الترتيب: ﴿نَذِيرٌ ، لِتَغْفِرَ ، اِسْتَغْفِرُواْ ، سِرَاجاً ،،

كَثِيراً، إِلاَّ بَاجِراً﴾ ، وترقيق الراء له دلالة إيقاعية يتضح من خلالها المعنىٰ، كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾"؛ إذ يشير الترقيق إلىٰ ترفق سيدنا (نوح) -عليه السلام- بقومه وإشفاقه عليهم، في حين قابلوا دعوته بالصد والإعراض، فكان اجتماع ترقيق الراء في الآية المبين لرفق نبيهم بهم مع مدودها المظهرة لشدة إعراضهم تأكيد علىٰ المفارقة الكائنة بين الطرفين.

ويأتي في المرتبة الثانية التسهيل بالإبدال الخاص بإبدال الهمزة المفتوحة بعد ضم واواً إذا كانت فاء للكلمة، وقد ورد في موضعين من السورة، هما: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ ، لاَ يُؤَخَّرُ﴾.؛ فمثلا كلمة: ﴿لاَ يُؤَخَّرُ﴾.في قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ " قد جاءت منفية لتفيد تحقيق وقوع الأجل في حينه دون تأخير، والانتقال من الهمزة الشديدة التي تعوق التدفق الإيقاعي إلىٰ الواو الرخوة التي تزيد من تدفق الإيقاع يشير إلىٰ سرعة وقوع الأجل في وقته دون تأخير.

**٤ الظواهر الإيقاعية التي نتج منها شدة في الإيقاع.**

جاءت شدة الإيقاع في السورة من خلال التقليل ومن خلال التخلص من التقاء الساكنين بالضم لا بالكسر، أما التقليل فكان في موضعين، الأول: الألف في كلمة: ﴿مُّسَمًّى﴾ حال الوقوف عليها في وجه توسط البدل، وفيه إشارة إلىٰ مآل أبدانهم عند مماتهم، والثاني: الألف بعد الكاف في كلمة: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وفيه دلالة علىٰ انحراف عقائدهم واضطرابها.

أما التخلص من التقاء الساكنين بالضم، فكان في موضع واحد في قوله تعالىٰ: ﴿ٱنُ ٱعْبُدُواْ﴾ "؛ وفيه دلالة علىٰ أن حسن التذلل لله من أعظم موروثات العزة في قلب كل مخلص عابد.

**ثانيا:** كشفت الدراسة عن التوافق الإيقاعي الورشي مع الدلالات البلاغية؛ فالآية الكريمة مثلا: ﴿ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ﴿٩﴾﴾،أكدت الإسرار ولم تؤكد الإعلان، وفي رواية (ورش) يتسارع الإيقاع في تصوير الإعلان من

خلال فتح ياء المتكلم، وتجاوز المد المنفصل، أما في تصوير الإسرار فنجد التباطؤ الإيقاعي ماثلا من خلال مد صلة ميم الجمع مدا مشبعا. وفي قوله -تعالىٰ-: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ [سورة نوح:٧]. صور المدان المنفصلان مع مد البدل بلاغة المجاز المرسل في التعبير عن الأنامل بالأصابع، مما يدل علىٰ شدة إعراضهم، وكذلك في قوله -تعالىٰ- : ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾. تقديم يدل علىٰ وجوب استحقاقِهِم العذاب بسبب خطيئاتهم، وهو ما يؤكده الإيقاع النغمي للآية في رواية (ورش).

**ثالثا:** وافق الإيقاع النغمي لرواية (ورش) وباقي الروايات في السورة الكريمة الدلالات الأدبية؛ فالسورة قد انتظمت قصة، والقصة سُردت في فصول، كان أطولها الفصل الأخير منها الذي يصف موقف مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام- لربه، فاسترجع آلامه وأوجاعه في سبيل دعوته، والإيقاع النغمي للقصة قد ساهم في تشكيل بنائها الفني؛ فالفصل الأخير منها انتقلت فيه الفواصل في نهايات الآيات من حروف الغنة الساكنة المسبوقة بحرف مد (واو أو ياء) إلىٰ فاصلة تنتهي بألفي مد إلا آية واحدة، والمتأمل في هذا الفصل يجد ترتيب الأحداث فيه ترتيبا فريدا، اعتمد علىٰ التقديم الزمني فيه والتأخير، وكذلك تقديم النتائج، فيما يعرف في علم النقد الحديث بظاهرتي: (الاسترجاع، والاستباق)، وقد تعانق الإيقاع النغمي في هذا الفصل مع سياق العرض الزمني للقصة في استبيان مكابدة سيدنا (نوح) -عليه السلام- في دعوته، وصرخات عنائه وآهات شقائه، فكان استرجاع تلك الأوجاع من النبي الصابر الأواب مقدمة لدعائه المستجاب، وتبرئة له من تهمة التجني علىٰ قومه حين طلب العذاب.

ولا يقتصر الإعجاز الإيقاعي للقرآن الكريم علىٰ رواية (ورش) فقط، بل يتعداه لكل الروايات، فكلها منزلة من عند الله -تعالىٰ-، ولو استعرضنا إيقاعات بعض القراءات الأخرىٰ لوجدنا أثرها ملموسا في إيضاح المعنىٰ كذلك.

فـ(حفص) عن (عاصم) مثلا يقرأ قول الله -تعالىٰ-: قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة هود: ٤١]، بإمالة كلمة: ﴿مَجۡرٖىٰهَا﴾"، ولم يمل كلمة: ﴿وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ ولا أي كلمة أخرىٰ(١)، والسر الإعجازي لهذا العدول الإيقاعي عند (حفص) أن جريان السفينة في أمواج الطوفان العاتية التي بلغت ارتفاعها قمم الجبال سيكون مضطربا متأرجحا، كما أن الراكبين في حالة قلق وترقب من ظاهرة مخيفة يرونها أمام أعينهم، ومن بيئة للحياة جديدة لم يألفوها، فناسب الإيقاع في هذه الكلمة الإمالة، أما الإرساء فهو يمثل زوال هذا التأرجح، ووصول القلب إلىٰ الطمأنينة، والعودة مرة أخرىٰ إلىٰ الحياة المألوفة، لذلك جاءت الرواية علىٰ نغمها الإيقاعي المعتاد.

ويقرأ (السوسيُّ عن أبي عمرو البصري) قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الحج:٢٣].بالإدغام الكبير بين كلمتي: ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾"، وكذلك بين كلمتي: ﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾"(٢)، وينتج من الإدغام الكبير في الموضع الأول إسكان السين وإدغامها في مثيلتها، ومن ثم جاز في الألف بعد النون ثلاثة أوجه لالتقائه بالساكن العارض الذي وراءه والإشباع هو المقدم، وفي ذلك دلالة إيقاعية؛ إذ تطويل الصوت هنا مع إسكان السين يدلان علىٰ رحمة الله بالناس، إذ خص بيته لهم ليأنسوا بقربه وينزل عليهم السكينة والرحمات، فهو يحب طول مكوثهم عنده، ويدعم هذا المعنىٰ غنة النون في كلمة: ﴿ لِلنَّاسِ﴾، كذلك إسكان الفاء في الموضع الثاني وامتزاج

(١) البدور الزاهرة، صـ١٩١

(٢) البدور الزاهرة، صـ٢٦٧.

كلمة: ﴿ٱلۡعَٰكِفِ﴾ بكلمة: ﴿ فِيهِ ﴾، كأنهما كلمة واحدة يدلان علىٰ عظيم السكينة الروحية التي تتنزل علىٰ من اعتكف في بيت الله الحرام.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ [سورة الشعراء:٥٦] " قرأ ابن ذكوان والكوفي بإثبات الألف في: ﴿ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ علىٰ أنها اسم فاعل، وجمهور القراء بحذف الألف[1]علىٰ أنها صيغة مبالغة، وإذا كانت القاعدة الصرفية تقول: (الزيادة في المبنىٰ زيادة في المعنىٰ)، فكيف تدل صيغة (فعِل) علىٰ المبالغة في المعنىٰ، وهي أنقص من صيغة (فاعِل)؟! والمتأمل في الصيغ التي جاءت علىٰ هذا الوزن سواء أكانت صيغة مبالغة أم كانت صفة مشبهة يجد أغلبها يدل علىٰ سرعة الفعل فمثلا كلمة: (فطِن) تدل علىٰ سرعة الفهم والإدراك، وكذلك (يقِظ) تدل علىٰ سرعة اليقظة والانتباه، وكذلك الأمر في كلمة (حذِر)، فانتقاص أحرف تلك الصيغة عن اسم الفاعل نشأ منه تسارع إيقاعي دل علىٰ سرعة وقوع الفعل وتلك هي عين المبالغة، والتي منها الآية الكريمة علىٰ قراءة جمهور القراء، ففرعون يطلب من قومه المبالغة في الحذر من قوم موسىٰ من خلال سرعة التنبه واليقظة والالتفات.

**وبعد،**

فهذا باب عظيم القدر جم الفائدة يحتاج إلىٰ باحثين جادين مسلحين بالعلم والإيمان، يتلون كتاب الله حق تلاوته ويتدبرونه حق تدبره ليستنبطوا من أنواره أقباسا من إعجازاته التي لا تنفد علىٰ مر الزمان.

*وصلى الله على سيدنا (محمد)، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين.*

(١) البدور الزاهرة، صـ٢٨٧.

# المصادر والمراجع

**القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني**

**القرآن الكريم برواية السوسي عن أبي عمرو البصري**

**القرآن الكريم براوية حفص عن عاصم الكوفي، مع الالتزام بِعَدِّ كل مصحف، فيما اختلفوا ، وفيما اتفقوا.**

١. **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن**، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ت: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢. **إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة**، محمد شملول، تقديم: أ.د/ علي جمعة، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ابن هشام الأنصاري المصري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط٢٠٠٤م.

٤. **بدائع الإضمار القصصي**، أ.د/ كاظم الظواهري، دار الهداية، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ١٩٩١م.

٥. **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، عبد الفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

٦. **بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثيات نجيب محفوظ**، د. سيزا قاسم، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط٢٠٠٤م.

٧. **البنية الزمنية بين الاسترجاع والاستباق في رواية: "العقرب" لحسين مرتضائيان آبكنار**، أ.د/ رسول بلوي، أ.د/ حسين طرفي عليوي، دراسة مستلة من مجلة كلية الآداب جامعة الكوفة، سنة ٢٠١٧.

٨. **البنية السردية في شعر شوقي للأطفال**، رسالة (ماجستير) للباحث/ عبدالله محمد أديب القاوقجي، إشراف: أ.د/ محمد كاظم حسن الظواهري، وأ.د/ محمد سلامة صالح سلامة، كلية اللغة العربية بالمنوفية (قسم الأدب والنقد)، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

٩. **بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي**، المركز الثقافي العربي، ط١ ،١٩٩٠م.

١٠. البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني الأندلسي، ت: د. غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

١١. **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢. **تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)**، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي المالكي، ت: ش/ علي محمد معوض، ش/ عادل أحمد عبد الموجود، أ.د/ عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣. **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٥. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت: يوسف علي بدوي، محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٦. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٧. **الثمر اليانع في رواية ورش عن نافع**، د. توفيق إبراهيم ضمرة، دار الماهر بالقرآن، القاهرة، ط٢، ١٥٣٦ هـ/ ٢٠١٥م.

١٨. **ديوان أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي)**، ت: عبد الحميد يونس، عبد الفتاح مصطفىٰ، مكتبة: علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر بمصر، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

١٩. **الزمن في الرواية العربية** ، مها حسن القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٢٠. **سنن أبي داود**، أبو داود الأزدي السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العلمية، دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢١. **صحيح مسلم**، الإمام مسلم، ت: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

٢٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، أ.د/ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٣. **المرشد إلى فهم أشعار العربية وصناعتها**، عبد الله الطيب، دار الفكر، لبنان، ط٢، ١٩٧٠م.

٢٤. **المعجم الكبير**، الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١.

٢٥. **منار الهدى في الوقف والابتدا**، أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٦. **منجد المقربين ومرشد الطالبين**، ابن الجزري، ت: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة المقدسي، القاهرة، ط ١٣٥٠هـ.

# فهرس الموضوعات


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ١٥٩٦ |
| التمهيد | ١٦٠١ |
| الفصل الأول: إرسال الله سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلى قومه. | ١٦١٣ |
| الفصل الثاني: تبليغ سيدنا (نوح) -عليه السلام- رسالة ربه إلى قومه. | ١٦١٩ |
| الفصل الثالث: مناجاة سيدنا (نوح) -عليه السلام- ربه. | ١٦٢٦ |
| المشهد الأول: شكوى سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلى ربه إرهاقه في الدعوة. | ١٦٢٨ |
| المشهد الثاني: الاستدلالات الحجاجية على قدرة الله ورحمته. | ١٦٣٢ |
| المشهد الثالث: شكوى سيدنا (نوح) -عليه السلام- إلى ربه ضلال قومه وإضلالهم. | ١٦٣٩ |
| المشهد الرابع: استحقاق الكافرين عقاب الله في الدنيا والآخرة. | ١٦٤٥ |
| المشهد الخامس: دعاء سيدنا (نوح) -عليه السلام- على قومه، وللمؤمنين. | ١٦٥٠ |
| الخاتمة. | ١٦٥٥ |
| ثبت المصادر والمراجع. | ١٦٦٢ |
| فهرس الموضوعات. | ١٦٦٥ |